الأمة الإسلامية تحتاج إلى قيام النهار

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٩٤ السنة الخمسون - جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ
الثمن ٥ جنيهات

بدعة القول بعدم وقوع الطلاق الشفوي

شركات توظيف الأموال والطعن في الاقتصاد الإسلامي

- المذهب المادّي والتشكيك في الوحي
- ورحل فضيلة الشيخ/ عبد الرزاق السيد عيد (رحمه الله)
- الاستسلام للأقدار الغالبة والاستعداد للعواقب الغائبة

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام
د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.
٢- في الخارج ٤٠ دولاراً أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

920 جنيهاً
ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن.

السلام عليكم

الاعتبار بمرور الأيام

لقي الفضيل بن عياض رجلا ؛ فقال له الفضيل : «كم عُمُرك ؟

قال الرجل: ستونَ سنة.

قال الفضيل: إذًا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله توشك أن تصل.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال الفضيل: هل تعرف معناها؟

قال: نعم أعرف أني عبدالله، وأني إليه راجع.

فقال الفضيل: يا أخي ، من عرف أنه لله عبد ، وأنه إليه راجع ، فليعلم أنه موقوف بين يديه ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول ، ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جوابا.

فبكى الرجل وقال ما الحيلة؟

قال الفضيل: يسيرة.

قال: وماهى يرحمك الله؟

قال: تُحسن فيما بقي، يغفر الله لك ماقد مضى وما بقي، فإنك إن أسأت فيما بقى أخذت بما مضى وما بقي.

التحرير

بريد القراء

«بريد القراء»، أول باب تفاعلي إعلامي منذ القرن الـ ١٨

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، بالإضافة إلى البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تتاح نافذة «بريد القراء»، في مجلة التوحيد، فيرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحافية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل. وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم إهمال الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة بذيئة لا تصلح للنشر. والله الموفق.

شركات توظيف الأموال
والطعن في الاقتصاد الإسلامي
8

٨

الأمة الإسلامية
تحتاج إلى قيام النهار
32

٣٢

٤١

٤٤

الإسلام أهدى سبيلاً ٢
باب التفسير ٥
ورحل فضيلة الشيخ عبد الرزاق السيد عيد ١٢
آلام وآمال بين عام رحل وعام يجيء ١٤
باب السنة ١٧
فقه المرأة المسلمة ٢١
المذهب المادي والتشكيك في الوحي ٢٤
تحذير الأمة من غلاة التجريح ودعاة الفتنة ٢٦
ويل للمطففين ٣٠
دراسات شرعية ٣٨
كتاب عربي علم العالم ٤٨
الأسرة المسلمة ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل ٥٧
باب الفقه ٦١
ذم البخل والشح ٦٤
دراسات قرآنية ٦٧
مقالات في معاني القراءات ٧٠

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

افتتاحية العدد

الإسلام أهدى سبيلاً وأقوم طريقاً

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ورضيه لنا دينًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبدُ الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد؛ فإنَّ دين الإسلام من أعظم نعم الله على عباده، وهو شريعته إلى جميع أنبيائه، فجميع الأنبياء من آدم عليه السلام إلى أن خُتمتَ النبوات بخير الأنام صلى الله عليه وسلم كانوا على الإسلام.

فهذا نوح عليه السلام يقول كما ذكر الله عنه في كتابه: «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » (يونس: ٧٢).

ودين الإسلام هو وصية إبراهيم ويعقوب لبنيه، كما قال تعالى: « وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ » (البقرة: ١٣٢).

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: «رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ » (يوسف: ١٠١).

وقال على لسان عيسى عليه السلام: «فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » (آل عمران:٥٢).

وهذا هو الإسلام بمعناه العام، والمراد به: توحيد الله وإفراده بالعبادة في أيِّ زمان ومكان، وهو الدين الذي لا يَقبل الله من أحد سواه.

قال تعالى: « إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ » (آل عمران: ١٩).

وقال تعالى: « وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ » (آل عمران: ٨٥).

وقد دلت الآيتين أنِ الله لا يقبل من أحد دينًا سوى الإسلام، وهو دين الأنبياء

جميعًا. قال قتادة-رحمه الله تعالى-: «والإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودلت عليه أولياؤه لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به». (تفسير الطبري، ج٣/١٤٢).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» (صحيح البخاري ٣٤٤٢، ومسلم ٢٣٦٥)؛ وأولاد العلات تطلق على الإخوة من الأب.

قال ابن حجر: «ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع الشرائع». (فتح الباري، ج٦/٤٨٩).

وهذا يدل على أن دين الأنبياء جميعًا واحد، وهو الإسلام، وهم أمة واحدة على توحيد الله تعالى وعبادته وحده. قال تعالى: «إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٩٢).

ومن المعلوم أن شرائع الأنبياء تنوعت على حسب كل نبيّ وزمانه ومكانه: قال تعالى: «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» (المائدة: ٤٨)، وقد ذكر ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم أن المراد بالشرعة والمنهاج: السبيل والسُّنة، ثم قال: «ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة على التوحيد». (تفسير ابن كثير، ج٢/٩٥).

وبهذا يظهر أن جميع الرسالات اتفقت على الدعوة إلى دين واحد، وهو إفراد الله بالتوحيد وعبادته وحده دون سواه، أما الشرائع: فهي متنوّعة ومتعدّدة، وهذا هو الذي دلَّ عليه الإسلام بمعناه العام، أما الإسلام بمعناه الخاص، فهو المتضمّن ما بعث به نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وهو المرضيّ عنده سبحانه، وهو المراد بقوله: «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة: ٣)، وعليه أقول: بأنه لا يجوز لأحد أن يعبد الله بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بشريعته الكاملة المرضية.

قال القاسمي رحمه الله: «وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» يعني: اخترته لكم من بين الأديان، وآذنتكم بأنه هو الدين المرضي وحده، «وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ» أو معناه: الانقياد لأمري فيما شرعت لكم من الفرائض والأحكام والحدود ومعالم الدين الذي أكملته لكم، ومعلوم أن الإسلام لم يزل مرضيًا للحق تعالى منذ القدم، إلا أن المعني به في الآية: الصفة التي هو اليوم بها، وهي نهاية الكمال والبلوغ به أقصى درجاته، أي: فالزموه ولا تفارقوه. (تفسير القاسمي، ج٦/ ١٨٣١).

وقد دلّت السنة المطهرة أنه لا يجوز لأحد بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعبد لله إلا بما جاء به النبي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، كما في حديث مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». (صحيح مسلم: ١٥٣).

وقال النووي رحمه الله: "في الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم، وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور، وهذا جاء على ما تقدم في الأصول أنه لا حُكم قبل ورود الشرع على الصحيح، والله أعلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة» أي: ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته، وانما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهًا على من سواهما، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابًا، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى، والله أعلم". (شرح النووي على مسلم، ج٢/١٨٨).

وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الأمة -أمة نبينا عليه الصلاة والسلام- هي التي آمنت وحققت الإسلام بمعنييه: العام والخاص؛ لأنها آمنت بجميع الأنبياء والمرسلين، إلى جانب اتباعهم وتصديقهم بالنبي الأمين صلى الله عليه وسلم، ولأن من أصول ديننا وأركان إيماننا الإيمان الجازم بجميع الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» (البقرة: ٢٨٥).

كما أننا نؤمن بالوحي المنزل كله من عند الله، وقد أمرنا بذلك. قال تعالى: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٦).

والآية تصرح بأنه يجب على المؤمن أن لا يفرق في إيمانه بين أحد من المرسلين وما أنزل الله عليه، وهذه ما قام به أهل الإيمان في هذه الأمة.

قال السعدي رحمه الله: «هذه خاصية المسلمين التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه على دين، فاليهود والنصارى والصابئون وغيرهم، وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به من الرسل والكتب، فإنهم يكفرون بغيرهم؛ فيفرقون بين الرسل والكتب، بعضها يؤمنون به وبعضها يكفرون به، وينقض تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل وخصوصًا محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا كذبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم فقد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرًا برسولهم". (تفسير السعدي، ج١/١٤٦).

ومن تشريف الله لهذه الأمة ونبيها عليه الصلاة والسلام، أن الله أخذ الميثاق على النبيين إن بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به ويتابعوه، كما قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ» (آل عمران: ٨١)؛ وهذه الآية فيها تكريم وتشريف لهذه الأمة ولنبيها عليه الصلاة والسلام.

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة وبلغ أي مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنن به ولينصرنه، ثم ذكر عن علي بن أبي طالب وابن عباس قولهما: «ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بُعث محمد وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه». (تفسير ابن كثير، ج١/٥١٦).

وخلاصة القول في ذلك ما ذكره الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في قوله: «إن لفظ الإسلام له معنيان: معنى عام: يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبيّ من أنبياء الله الذي بُعث فيهم فيكونون مسلمين حنفاء على ملة إبراهيم بعبادتهم لله وحده واتباعهم لشريعة من بعثه الله فيهم، ثم لما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم وهو خاتمهم، وشريعته خاتمة الشرائع، ورسالته خاتمة الرسالات وهي عامة لأهل الأرض وجب على أهل الكتابين وغيرهم اتباع شريعته، وما بعثه الله به لا غير..

فبقي اسم الإسلام عند الإطلاق منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، مختصًا بمن يتبعه لا غير، وهذا هو معناه الخاص الذي لا يجوز إطلاقه على دين سواه" (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ٥٦٠٠).

لذلك أقول للمتحاملين على الإسلام أو الطاعنين: الإسلام أهدى سبيلًا وأقوم طريقًا فالزموه لتكون لكم السعادة في الآخرة والأولى.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

باب التفسير

سُورَةُ الْحُجُرَات

١٠

إعداد د. عبد العظيم بدوي

قـال الله تعالـى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ» (الحجرات: ١٣- ١٥).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ما يزال الحديث متصلاً عن تفسير آيات سورة الحجرات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

«إنَّ أكرمَكُمْ عندَ الله أتْقَاكُمْ»

قَال الله تعَالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (الحجرات: ١٣).

هذا هو المَبْدأ السَّادسُ مِنَ المَبادئ الأسَاسيَّة، الَّتي تُقرِّرُهَا سُورَةُ الحُجُرَات لإقَامَة المُجْتمَع المُسْلم، «إنَّ أكرمكُمْ عندَ الله أتْقَاكُمْ».

«يَا أيُّهَا النَّاسُ» هَذا نداءٌ من النَّداءات الَّتي تكَرَّرتْ في سُورَةِ الحُجُرَات، ولكنَّه نداءٌ لَيْسَ له نظيرٌ في السُّورة كُلِّهَا، لَقَدْ كانت النّداءاتُ السَّابقة، «يا أيُّهَا الَّذين آمَنُوا»، أمَّا هَذا النِّداءُ فإنَّهُ «يا أيُّها النَّاسُ»، يا أيُّها المُختلفُونَ أجْناسًا وألْوانًا، يا أيُّها المُتفرِّقون شعُوبًا وقبائلَ، «يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكم» فالَّذي يُنَاديكُمْ هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ، وَهُوَ يُطْلعُكُمْ على الْغَايَة منْ جعْلكُمْ شُعُوبًا وَقبَائل، إنَّها ليْست التَّناحُر والْخِصَام، وإنَّما التَّعارُفُ والوِئَامْ، مَا خلق اللهُ النَّاسَ ليَتَنَاحَرُوا، وما خَلَقَهُمْ ليتقَاتَلُوا، وما خَلَقَهُمْ ليتباغَضُوا، «يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خلقْنَاكم مِنْ ذكرٍ وأنثى»، فالأصْل واحدٌ مِنْ ذكرٍ وأُنْثَى، «وَجعلْناكُمْ شُعُوبًا وَقبائل»، لا لشَيْء إلا «لتَعَارفُوا»، فالتَّعارُف، والوِئامُ، والمحبَّة، والمودَّة، وَالأُخُوَّة، هيَ الْغايةُ منْ جَعْل النَّاس شعُوبًا وقبائل. كَمَا بَيَّنَ تَعالى الحكمَة والغاية منْ خَلْق الخلْق بقوْله: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، كذلك بيَّنَ هُنا الحكْمَة والغَايَة منْ جَعل النَّاس شعُوبا وَقبَائل، وَهيَ «لتعارَفُوا».

وَإذا كان أصْلُكمْ واحدًا، إذا كُنْتُمْ جميعًا منْ آدمَ وحوَّاء، فَلا يَجُوزُ لأحد أنْ يَسْخَر منْ أحد، فكلُّكمْ لآدم، وآدمُ مِنْ تراب، لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لأبْيَض عَلى أسْوَد إلا بالتَّقْوى، «إنَّ أكْرمَكمْ عند الله أتْقَاكُمْ»، لا قيمَة للمَال، لا قيمة للولد، لا قيمَة للحسَب، لا قيمة للنَّسَب، «فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ» (المؤمنون: ١٠١)، «وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ» (سبأ: ٣٧).

«إنَّ أكْرَمَكُمْ عنْد الله أتْقَاكُمْ»، هَذا هُوَ المُيزَانُ الَّذي قَرَّرَهُ الإسْلامَ، هَذا هُوَ المِيزَانُ الَّذي قَرَّرَهُ الْقُرْآنُ، هَذا هُوَ المِيزَانُ الَّذي عَمل رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم

جاهدًا على ترسيخه وتثبيته في قلوب أصحابه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله! من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فأكرم الناس يوسف نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فعن معادن العرب تسألوني، الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». (صحيح البخاري: ٣٣٨٣).

وعن سهل رضي الله عنه قال: مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تقولون في هذا»؟. قالوا: حرىً إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفّع، وإن قال أن يُستمع. قال: ثمّ سكت. فمرّ رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا»؟. قالوا: حريّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشفّع، وإن قال أن لا يُستمع. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا». (صحيح البخاري: ٥٠٩١).

هذا الفقير- بالتقوى والإيمان والعمل الصالح- خيرٌ من ملء الأرض من مثل ذاك الغنيّ الذي ليس في قلبه إيمان، ولا تقوى، ولا ورع، ولا خشية لله عز وجل.

فبالإيمان والتقوى والعمل الصالح يقيم الناس في الإسلام، وبهذا كله يوزنون.

حقيقة التقوى:

فإن قال قائل: فما هي التقوى؟ فالجواب: إن التقوى في تعريفها الجامع المستوعب: هي القيام بالواجبات، وترك المحرمات. أن تقوم بما فرض الله عليك من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وغير ذلك، وأن تترك ما نهاك الله عنه من ربا، وزنا، ورشوة، وسرقة، وإيذاء جار، وعقوق الوالدين، وغير ذلك.

وأصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه. وتقوى العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه، من غضبه، وسخطه، وعقابه، وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته، واجتناب معاصيه.

ولذلك وصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى، فقال تعالى: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ» (النساء: ١٣١).

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بها أصحابه، ويأمرهم بها في المحافل العامة والمجامع الكبيرة، و «كان إذا بعث بعثًا أمّر عليهم أحدهم، ثمّ وصّاه في نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرًا» (صحيح مسلم: ١٧٣١).

ثمرات التقوى:

ولقد علّق الله سبحانه وتعالى السّعادة والفلاح والنّجاح، والفوز في الدّنيا والآخرة على تقواه:

قال تعالى: «وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (الطلاق: ٢-٣).

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ» (النحل: ١٢٨). وهذه المعيّة هي معيّة النّصر والتّمكين. وهي الّتي ذكر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر «إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (التوبة: ٤٠)، وهي الّتي ذكر بها موسى بني إسرائيل وقت خروجهم من مصر «فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» (الشعراء: ٦١- ٦٢).

تزكية النفوس

ولمّا كانت التّقوى في القلوب، ولا يطّلع عليها إلا الله، قال تعالى: «إنّ الله عليم خبير» عليمٌ بالمتّقين، خبيرٌ بهم، فلا يقولنّ أحد أنا من المتّقين، لأنّ الله وحده هو الذي يعلم، ثمّ إنّ في هذا القول تزكية للنفس، والله تعالى قد نهانا عن تزكية أنفسنا، فقال تعالى: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ» (النجم: ٣٢).

وإذا كنا قد نهينا عن تزكية أنفسنا فقد نهينا أيضا عن الجزم بتزكية الغير، وعلّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان منكم مادحًا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانًا، والله حسيبه، ولا أزكّي على الله أحدًا، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه». (صحيح

البخاري: ٢٦٦٢).

حقيقة الإيمان:

قال الله تعالى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» (الحجرات: ١٤).

قديمًا سُئل أحد العلماء: أليس الله تعالى يقول: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» (المنافقون: ٨)؟ فأين عزة المؤمنين؟ فأجاب العالم: لا تقل أين العزة؟ ولكن قل أين المؤمنون؟

إن وعد الله حق، ولن يخلف الله وعده، وقد كتب الله العزة للمؤمنين، ولكن هذه العزة فرض الله لها ثمنًا معلومًا، وجعل لها أسبابًا معروفة، فإذا جاد المؤمنون بالثمن، وأخذوا بالأسباب أعزهم الله تعالى، وإذا ضنوا بالثمن، وقعدوا عن الأخذ بالأسباب تخلف عنهم وعد الله تعالى.

والإيمان ليس مجرد كلمات تنطق، ولا حروف يترجمها اللسان، ولكن الإيمان عقيدة وعمل، عقيدة سليمة صحيحة تستقر في القلوب، وتتمكن منها، ثم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أعمالا صالحة، من صلاة وصيام، وصدقة ونسك، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وبر بالوالدين، وصلة للأرحام، وإحسان للجيران، وغير ذلك من كل ما يحبه الله ويرضاه، ولذا قال الحسن البصري - رحمه الله -: ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. (اقتضاء العلم العمل: ١٧٧)

هذه هي حقيقة الإيمان، كما يقررها المبدأ السابع والأخير من مبادئ سورة الحجرات.

قال تعالى: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» (الحجرات: ١٤):

قيل إن هذه الآيات نزلت في جماعة من الأعراب أسلموا، ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، آمنا بك وصدقناك، واتبعناك من غير قتال، وتركنا العشائر والأموال، وما من قبيلة من العرب إلا قاتلتك حتى دخلت في الإسلام كرهًا، ولكنا آمنا بك من غير قتال، فلنا عليك بذلك حق، فأنزل الله تعالى الآيات: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» (الحجرات: ١٤).

الإسلام والإيمان:

فهناك فرق كبير بين الإسلام والإيمان، فالإسلام علانية، والإيمان عقيدة في القلب، الإسلام في الظاهر استسلام وانقياد، وخضوع الجوارح لله، وإتيانها لما يحبه الله ويرضاه، والله هو الذي يقول لكم معشر الأعراب: «لم تؤمنوا». فالإيمان مراتب ودرجات، وهو يزيد وينقص، ويتفاوت في القلوب، بل ويختلف في القلب الواحد من حين إلى حين. فأحيانا يرى المسلم نفسه في أعلى درجات الإيمان، وأحيانا يشعر أن إيمانه في الحضيض، ذاك شيء لا ينكر، ذاك شيء محسوس ملموس، كل منا يراه ويجده في قلبه، أحيانا تجد انشراحا في صدرك، وسعة في قلبك، وقوة في إيمانك، وزيادة في يقينك، وأحيانا تجد نفسك على ضد هذا تمامًا.

«لم تؤمنوا»، ولكن يكفيكم أن تقولوا «أسلمنا»، فإن الكافر إذا قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فقد دخل في الإسلام، أما الإيمان فإنه يحتاج إلى جهاد كبير، وزمن طويل حتى يستقر في القلوب ويتمكن منها.

وعلى كل حال، وإن كنتم مسلمين لم يتمكن الإيمان من قلوبكم، فاعلموا «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا» (النساء: ٤٠)، فأي عمل صالح تعملونه أثابكم الله عليه، «وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا»، أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم الصالحة شيئا، «إن الله غفور رحيم».

ثم بين سبحانه وتعالى حقيقة الإيمان فقال: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (الحجرات: ١٥).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

شركات توظيف الأموال والطعن في الاقتصاد الإسلامي

إعداد **د. أيمن خليل**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فهذا بحثٌ مُوجَز عن شركات توظيف الأموال: نشأتها ومخاطرها، وانهيارها، واستخدام البعض لها تكأة ومدخلاً للطعن في الاقتصاد الإسلامي، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

نشأة شركات توظيف الأموال:

عرفت ظاهرة شركات توظيف الأموال (الإسلامية) في باكستان، ونُقلَتْ فكرتها إلى مصر عبر العاملين بالمملكة العربية السعودية بعد الطفرة البترولية وقدوم الكثرة الكثيرة إليها، وكان منهم الوافدون من الباكستان، والذين كانوا يُحولون ما يجاوز المليار دولار إلى ذوويهم شهريًا، وذلك في أواخر سبيعينيات القرن الماضي، وهو ما حدا بالبعض إلى إنشاء شركات لتوظيف الأموال في الباكستان، واستمرت التجربة لمدة خمس سنوات ثم انهارت بالكامل محدثة أزمة كبيرة، وهو ما حدا بالحكومة الباكستانية إلى إلغاء معظم هذه الشركات وتحويل بعضها إلى شركات استثمارية متخصصة تخضع للسلطة المالية والنقدية في الباكستان، وانتقلت هذه الفكرة بالكامل إلى بعض المغامرين المصريين والذين استطاعوا استمالة مئات الألوف من المصريين، والحصول على مدخراتهم التي عجز أصحابها عن استثمارها، وعجز الجهاز المصري عن إيجاد الأدوات المصرفية المناسبة لكل فئات المجتمع وخاصة الذين يتحرجون من إيداع أموالهم بالبنوك التجارية؛ لكونها من المعاملات الربوية المحرمة.

وكانت مدخرات المصريين-وخاصة العاملين بدول الخليج- محط أنظار مؤسسي هذه الشركات، والتي ساعدها على الرواج بمصر مناخ الانفتاح الاقتصادي الذي أفرز سياسات اقتصادية تعتمد

على المضاربات وسياسة الصفقات وليس على تشييد الصروح الاقتصادية، وهو ما أوجد طائفة من الذين اقتحموا عالم التجارة والأعمال دون مؤهلات أو خبرات فنمت شركات توظيف الأموال في رحم الرأسمالية الطفيلية، وساعد هذه الشركات على النجاح في تحقيق أهدافها الحظر الذي فرضته الحكومة المصرية على تداول العملات الأجنبية في الوقت الذي وجدت فيه سوق موازية (السوق السوداء) مع التفاوت الكبير في سعر العملات الأجنبية في كلا السوقين، وهو ما جعل من شركات توظيف الأموال القناة البديلة التي تتسرب فيها تحويلات العاملين بالخارج، ومما ساعد هذه الشركات انعزال الدولة عن مواطنيها وتغافلها عن أموال المواطنين في تمويل مشروعاتها ولجوئها إلى الاقتراض الخارجي، مما جعل أموال المواطنين لقمة سائغة لهذه الشركات.

واستغلت هذه الشركات خراب ذمم بعض رجال السياسة الذين منحوهم نفوذًا، وفريق من رجال الصحافة والإعلام الذين تحولوا إلى أبواق تُمجد صنيعهم وتضخم أعمالهم وتزيِّن للعامة الإيداع لدى هذه الشركات، وكان من أهم العوامل التي ساعدت على نجاحهم-فيما يرى الباحث- أنهم تزيوا بلباس الدين ورفعوا شعارات هي بلا ريب من الدين كطلب الحلال في الرزق والابتعاد عن أكل الربا، فاستغلوا إصرار المسؤولين على إجبار المواطنين على التعامل بالربا من خلال البنوك الربوية دون إيجاد بدائل شرعية مباحة للتعامل معها، وهو ما أوجد انفصامًا نكدًا بين الدين والدنيا.

وعلى خلاف هؤلاء كان هناك طائفة لا تجد حرجًا من إيداع أموالها بالبنوك التجارية، ولكن جذبها العائد الكبير الذي تمنحه شركات توظيف الأموال للمودعين، في وقت كانت قيمة أموالهم المدخرة بالبنوك تتآكل لقلة الفائدة وارتفاع التضخم حتى عبر البعض عن ذلك بأن الادخار أصبح عقوبة.

> “ عُرفت شركات توظيف الأموال في باكستان ونقلت فكرتها بعد إلى مصر. ”

العوامل التي أدت إلى نجاح شركات توظيف الأموال:

تضافرت عوامل عديدة لإنجاح شركات توظيف الأموال كان منها: العائد الدوري المنتظم الذي لبَّى حاجات قطاع كبير من المجتمع كأصحاب المعاشات والأرامل، والعائدين من الخارج الذي يرغبون في دخل شهري ثابت يطمئن نفوسهم ويخفف عنهم أعباء المعيشة. وارتفاع هذا العائد مقارنة بالأنشطة المصرفية وبأيِّ نشاط اقتصادي آخر. وأن هذه الشركات كانت تعمل في وضح النهار وتنشر إعلاناتها في الجرائد الرسمية وكافة وسائل الإعلام بما فيها التليفزيون الحكومي، كما أنها عرضت منتجاتها في المعارض التي تقيمها الدولة، بل وزار كبار المسؤولين بالدولة أجنحة هذه الشركات وسمحوا بالتقاط الصور مع أصحاب هذه الشركات، وكانت هذه الصور توضع في مكاتب هذه الشركات لتمنح طمأنينة للمتعاملين معها.

وفضلاً عن ذلك عملت شخصيات عامة رفيعة القدر (وزراء ومحافظون) بهذه الشركات بعد ترك مناصبها الحكومية، وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك حملة دعائية ضخمة تقوم بها جماعات ضغط نشطة من المنتفعين من الإعلاميين وأصحاب الأقلام الذين استأجرتهم هذه الشركات.

شركات توظيف الأموال والانتساب إلى الاقتصاد الإسلامي:

يتمنى كل امرئ أن تكون حياته ودنياه منسجمة تمامًا مع تعاليم دينه فيحدث التوافق بين الدين والدنيا، وينتهي هذا الانفصام الذي يصدع قلب كل مُحبّ لدينه، ولذا كان من الأسباب شديدة الأهمية في إنجاح شركات توظيف الأموال في الحصول على مبالغ طائلة شديدة الضخامة في ذاك الزمان أنها استطاعت أن تستغل العاطفة الدينية الجياشة لدى قطاع عريض من الناس، فكانت تفتتح إعلاناتها بالآيات القرآنية

والأحاديث النبوية وكان أصحاب هذه الشركات يظهرون بمظهر الإنسان الحريص على اتباع سنة النبي صلى الله علي وسلم، فضلاً عن حرصهم على توثيق صلتهم برجال الدين الذين لهم قبول عند أكثر الناس، مع قيامهم ببيع العديد من الكتب الدينية.

وتضافرت هذه الأسباب مجتمعة لتمنح شركات توظيف الأموال ثقة المستثمرين المصريين، والذين منحوا أموالهم عن طيب نفس لهذه الشركات، فما أن ظهرت هذه الشركات حتى سارع الكثيرون وقتئذ-ممن خدعوا بالله فانخدعوا- إلى الإيداع بهذه الشركات وكانت الكثرة العددية من المودعين وفقًا للإحصاءات التي صدرت عن المدعي العام الاشتراكي من صغار المودعين (وهم الفئة التي أودعت مبالغ ما بين ألف جنيه وعشرة آلاف جنيه)، ولكن لم يكن أحد ممن ظنوا أن هذه الشركات تعكس معاملات المجتمع المسلم المتمسك بتعاليم دينه يدور بخلده أن هذه الشركات تضرب بأحكام الشريعة عرض الحائط، ولا يعنيها في الحقيقة إلا التكالب على الدنيا وإن زينت ذلك بزخرف القول، ولم يتخيل كثير من المودعين-كما تبين من تحقيقات النائب العام بعد ذلك- أن الشركات التي تزعم أنها إسلامية تضارب بأموالهم في معاملات آجلة في البورصات على الأسهم (رغم أن هذه المعاملة تشتمل على مقامرة ظاهرة)، وفي تداول السندات رغم أنها سندات ربوية محرمة لا يجوز التعامل عليها في المعاملات العاجلة، فإن تم التعامل نسيئة كانت المعاملة مشتملة على بيع الكالئ بالكالئ (أي بيع الدَّيْن بالدَّيْن) وهي محرمة بالإجماع، كما كانت هذه الشركات تتعامل مع البنوك الألمانية والإنجليزية معاملات ربوية محرمة، بل إن فتحي الريان يؤكد دون مواربة أن له أربع شركات خارج البلاد منها اثنتان بجنيف إحداهما خاصة بتجارة الحبوب والأخرى خاصة بالمضاربات في العملات الأجنبية والأسهم والسندات.

> “لم تستثمر شركات توظيف الأموال داخل مصر إلا نسبة ١٠٪ من إيداعاتها.”

ولم تستثمر هذه الشركات في الأصول الموجودة داخل مصر إلا نسبة ١٠٪ من إيداعاتها، كان معظمها في مزارع تسمين مواشي ودواجن وانتاج بيض ومصنع تجميع ثلاجات كوكيل للشركة الأجنبية، فضلاً عن بعض العقارات، بينما حولت نحو خمسة مليارات جنيه عبر تجارة العملة إلى الخارج لتتحول إلى أداة تجريف لاستثمارات المصريين.

وحتى استثماراتها في مصر كانت وبالاً على مواطنيها؛ حيث كانت سياساتهم الاقتصادية لا تعتمد على إنشاء صروح اقتصادية تمثل إضافة للاقتصاد وفرص عمل لآلاف الشباب، وإنما كانت تعتمد على الاحتكار-المحرم شرعًا- وربما مازال في أذهان البعض الارتفاع المفاجئ غير المسبوق في أسعار السيارات التي كانت تجمع في السوق المصري (ويتم الزعم أنها تنتج محليًا)؛ حيث قامت إحدى شركات توظيف الأموال الكبرى باستغلال حاجة الشركة المنتجة للعملات الحرة فقامت بشراء الجزء الأكبر من إنتاج هذه الشركة لفترة قادمة بالعملة الحرة، ثم قامت برفع الأسعار بعد منع البيع لفترة، ومنعت البيع بالتقسيط إلا لمن يودع مبلغ عشرين ألف جنيه لاستثمارها بشركتهم وهو ما أدى لارتفاع الأسعار إلى حد ليس له مثيل من قبل، وجمعت الشركة بذلك بين الاحتكار المحرم من جهة، وبين السلف والبيع، والشرطين في بيع.

وكان من الممارسات المؤسفة لهذه الشركات إعلانها عبر وسائل الإعلام عن إيجاد فرص عمل للطلاب أثناء العطلة الصيفية، وكانت فرصة للشباب في الجامعات والمرحلة الثانوية للتخفيف عن كواهل أسرهم، ولكن كانت استمارة التوظيف تباع آنذاك بجنيهين وبعدما تقدم عشرات الآلاف من الطلاب وقع الاختيار على القلة القليلة للعمل؛ حيث تبين أن هذه الشركة تحصلت على أموال هؤلاء الطلاب ودفعت منها تكلفة الإعلانات وأجور الطلاب الذي تم توظيفهم

لهذه المدة لقليلة والباقي كان بمثابة أرباح صافية للشركة تحصلت عليها من الجنيهات التي دفعتها هذه الأسر. فتاجرت الشركة بأحلامهم البسيطة، وهو ما يدلل أن هذه الشركات لا تمُتَ إلى الاقتصاد الإسلامي بصلة، وانما إلى الانتهازية واستغلال آلام المواطنين والمتاجرة بمشاعرهم وأن هذه الشركات لا تنظر إلى الوظيفية الاجتماعية للمال، كما أكد هذا الموقف أن هذه الشركات بعيدة عن أوامر الشرع وإلا لما تلبست بهذه المعاملة التي تعد قمارًا صريحًا. وفعل شركة توظيف الأموال حينما يفعل باسم الاقتصاد الإسلامي فهذا ما يدعونا إلى الحنق عليهم لأنهم أشبه بقاطع الطريق إلى الله تعالى، فهم ينفرون الناس مما هو إسلامي بسوء فعالهم.

وما فعلته شركات توظيف الأموال كان انعكاسًا لمرحلة تاريخية عاشتها مصر- فيما عرف بالانفتاح الاقتصادي- وشهد فيها المجتمع المصري تحولات اجتماعية واقتصادية وخلقية مثلت انحدارًا خطيرًا في شتَّى المناحي وفي القيم، وتحول الاقتصاد من اقتصاد مصانع الحديد والصلب بحلون والغزل والنسيج بالمحلة الكبرى ومجمع الألومونيوم بنجع حمادي، وشركة النصر لصناعة الزجاج والبلور، وشركة المراجل البخارية بالجيزة إلى اقتصاد الخبطات وتجار الشنطة وما عُرف باقتصاد البوتيكات، وتحوَّلت الصروح الصناعية إلى عشرات آلاف من البوتيكات، وتحوُّل رجال الاقتصاد إلى طبقة سماسرة طفيلية تتربح من صفقات مشبوهة على حساب بلدانها وشعوبها.

ولم تعد القيمة للعمل ولمدى حاجة المجتمع إليه، وانما أصبحت القيمة للمادة، وتوارت صفوة لمجتمع ومفكريه تحت ضغط الحاجة حتى خفتت أصواتهم، وحدث التزاوج النكد بين المال والسلطة فتحول قادة المجتمع وساسته إلى متربحين من الاتجار بأراضي الدولة، ورتعوا في أموالها وضرب الفساد في جنبات المجتمع، وانحدرت الأخلاق كذلك، ودخلت ألفاظ غريبة على الآذان في مجال الاقتصاد (كالأستك والأرنب والخنزيرة)، وغير ذلك، وتداخلت اللغة العربية مع اللغة الإنجليزية (الأنجلو آراب).

> **شركات توظيف المال كانت انعكاسًا لتردِّي المجتمع المصري، فكان نشاطها يعتمد على الصفقات.**

ولذا فإننا نرى أن شركات توظيف المال كانت انعكاسًا لتردِّي المجتمع المصري، فكان نشاطها يعتمد على الصفقات (أو ما اصطلح على تسميته بسياسة الخبطات) وليس على النشاط الاقتصادي العيني الذي يقوم على الصناعة والزراعة، وكانت الطامة أنهم لم يعلموا أنهم يعملون من خلال الدولة المصرية لتحقيق التوازن في علاقة ثلاثية الأطراف تمثل: صالح الشعب بتحقيق النفع له وتوفير جزء من مستلزماته بأسعار مناسبة، وصالح الحكومة بالقيام ببعض ما عجزت عنه وتخفيف بعض أعبائها قبل مواطنيها، وأيضًا صالح هذه الشركات بتحقيق أرباح تتولد من نشاط اقتصادي ينمو ويزداد مع الأيام، ولكنهم غلبوا صالح أنفسهم فكان لزامًا أن تتعارض المصالح، ففقدوا مساندة الحكومة المصرية كما فقدوا مساندة المودعين حينما تعارضت المصالح، فقد قامت هذه الشركات ليس لإنشاء نشاط اقتصادي إسلامي مطلقًا، وانما على العكس من ذلك كانت ممارساتهم لا تَمُتَ إلى الاقتصاد الإسلامي بصلة؛ حيث قامت على الاحتكار والمضاربات المشتملة على القمار وتلبّسوا بالمعاملات الربوية الظاهرة، ولم يكن لشركة واحدة من هذه الشركات مجلس رقابة شرعي يبيّن لها ما يجوز التعامل فيه وما يحرم عليهم التامل به، ثم انهارت هذه الشركات فكيف كان ذلك، هذا ما نعرض له إن شاء الله تعالى في المقال القادم

والحمد لله رب العالمين.

ورحل فضيلة الشيخ/ عبد الرزاق السيد عيد (رحمه الله)

إعداد د. أيمن خليل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فهذه كلمات يسيرة عن الشيخ عبد الرازق السيد عيد رحمه الله؛ وفاءً بحقه علينا، وثناءً على بعض جهوده، ونسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة.

مولد الشيخ ونشأته:

وُلد فضيلة الشيخ/ عبد الرازق السيد إبراهيم عيد بقرية الخيارية مركز المنصورة في العاشر من جمادى الآخرة لعام ١٣٦٤هـ الموافق ١٩٤٥/١١/٢٣م، وحفظ القرآن الكريم على والده الشيخ/ السيد إبراهيم عيد، وكان من الحفاظ المتقنين، وعنه أخذ تلاوة القرآن وحُسن الصوت، ثم انتقل معه والأسرة إلى بني عبيد؛ حيث مكث بها حتى رجع إلى مدينة المنصورة عام ١٩٧٣م؛ حيث كان والده مؤذنا بمسجد النصر بمدينة المنصورة (وهو المسجد الأول بمحافظة الدقهلية).

وكان الشيخ/ عبد الرازق عيد ثمرة طيبة أنبتتها دعوة أنصار السنة التي شهدتها مدينة المنصورة على أيدي العديد من دعاة شربين الأفاضل مثل الشيخ/ عبد الباقي الحسيني (عليه رحمة الله تعالى) الرئيس الأسبق لفرع شربين وعضو المركز العام من قبل، والشيخ / محمد أبو راشد حشيش الداعية المفوَه بشربين، ثم رئيس فرع المنصورة وعضو المركز العام. ولذلك كان فضيلة الشيخ/ عبد الرازق عيد يحفظ للإخوة الكرام بشربين فضلهم.

عضوية مجلس الإدارة وإمامة مسجد التوحيد بالمنصورة:

في يوم الجمعة الموافق الحادي عشر من شهر صفر لسنة ١٣٩٨هـ الموافق ١٩٧٨/١/٢٠م انعقد الاجتماع الأول لجمعية أنصار السنة المحمدية بالمنصورة، ورأس هذه الجلسة السيد/ عوض الكريم عباس عليّ باعتباره أكبر الأعضاء سنًا بينما تولى سكرتارية هذه الجلسة أصغر الأعضاء سنًا وكان فضيلة الشيخ/ عبد الرازق السيد إبراهيم عيد، وكان عمره آنذاك ثلاثًا وثلاثين سنة، وبهذه الجلسة تمت الموافقة بالإجماع على اختيار الشيخ / محمد أبو راشد حشيش (عليه رحمة الله تعالى) رئيسًا للمجلس، والشيخ/ بدوي عبد الفتاح-متعه الله بالصحة والعافية- نائبًا له، بينما تم اختيار الشيخ/ عبد الرازق عيد ليكون سكرتيرًا (أمينًا عامًا) لجمعية أنصار السنة المحمدية بالمنصورة.

وحينما تم اكتمال الطابق الأرضي من مجمع التوحيد وحضر السيد الوزير/ محافظ الدقهلية لصلاة الجمعة بمسجد التوحيد وبرفقته السيد اللواء/ مدير الأمن وفضيلة وكيل وزارة الأوقاف بالدقهلية ومأمور قسم ثان المنصورة ولفيف من رؤساء المصالح الحكومية بمناسبة افتتاح مسجد التوحيد بالمنصورة لإقامة الشعائر الدينية رغم استمرار أعمال البناء به تم اختيار الشيخ/ عبد الرازق عيد ليكون أول إمام للصلوات بمسجد التوحيد، وكان ذلك أمرًا طبيعيًا لسلامة منهجه مع كونه من الحفاظ المتقنين مع حسن الصوت الذي منّ الله عليه به.

وظل الشيخ/ عبد الرازق عيد سكرتيرًا لجمعية أنصار السنة المحمدية بالمنصورة وإمامًا بمسجد التوحيد بالمنصورة حتى سفره للسعودية ثم للإمارات.

وبعد عودته إلى مصر واستقراره بها أصبح الأمين العام لجمعية أنصار السنة المحمدية بالمنصورة مرة أخرى، وذلك منذ عام ٢٠١٠م وحتى وفاته- رحمه الله .

حرص الشيخ على متابعة أحوال الدعوة:

وكان الشيخ/ عبد الرازق عيد رغم سفره دائم التفقد لأحوال إخوانه وأبنائه الدعاة والعاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى.

وكان شديد الوفاء لإخوانه يعرف ذلك كل من عرفه، وكان هو الذي يحمل لهم مجلة التوحيد شهريًا وذلك طيلة سنوات، وليلة وفاته سأل عن العدد الجديد من مجلة التوحيد (عدد جمادى الأولى)، وكان يعتزم أن يصلي الفجر في مسجد التوحيد بقولنجيل وأن يوصل لهم مجلة التوحيد كعادته، ولكن استرد الله سبحانه الوديعة قبل صلاة الفجر.

وكان من المقربين إليه فضيلة الشيخ/ زكريا الحسيني عضو المركز العام لأنصار السنة والمدير الأسبق لإدارة شؤون القرآن، والمدير الأسبق لادارة الدعوة والإعلام (عليه رحمة الله تعالى) والذي توطدت الصلة

بينهما، ثم أسفرت عن مصاهرة فتزوج ابن الشيخ/ زكريا الحسيني من ابنة الشيخ/ عبد الرازق عيد (تغمدهما الله تعالى بواسع رحمته).

وكان الشيخ/ عبد الرازق عيد زاهدًا في الدنيا متقللاً منها، رقيق القلب، شديد البشاشة، محبًا لإخوانه، ورغم ذلك كان شديد الحمية والغيرة على دين الله عز وجل، وكان شديد النشاط في الدعوة حتى إن المرء لا يتصور أنه قد جاوز السبعين من عمره وهو يجوب المساجد داعية لله عز وجل، وكان منهجه الذي يحرص عليه إصلاح الواقع بالنص القرآني.

مواقف صدق لا تُنسى:

وكان للشيخ /عبد الرازق عيد مواقف صدق لا تُنسى علّمنا فيها دروسًا عملية لا تحصيها الكلمات البليغة، ومن ذلك ما حدث حينما توفيت كبرى بناته وأقربهم إلى نفسه (عليها رحمة الله تعالى) عام ٢٠١٠م- وكانت زوجة د./ تامر متولي المدرس بكلية الدعوة بحائل- لم نر رغم شدة المصاب إلا صبرًا وتسليمًا لقضاء الله تعالى، في موقف-يعجز عنه كثير من الناس.

وكان للشيخ/ عبد الرازق عيد مواقف لا تُنسى في الدعوة؛ ففي يوم الجمعة الموافق ١٧ جمادى الأولى لعام ١٣٩٩هـ الموافق٩ أبريل ١٩٧٩م كان خطيب الجمعة بمسجد التوحيد الشيخ/ حمزة أبو النصر الداعية بالمحلة الكبرى، ولكنه لم يحضر الخطبة، وتأخر في الحضور ثلاثة دقائق بعد الأذان، فساد القلق بين المصلين، وإذا بأحد الأفراد يستغل هذه الفرصة ويصعد المنبر وبدلاً من خطبة الجمعة خطب خطبة سياسية شديدة البأس، فما كان الشيخ/ عبد الرازق عيد إلا أن تقدّم هو ليصلي بالناس ومنع هذا الخطيب من إمامة المصلين في صلاة الجمعة، وبعد الصلاة اعتذر الشيخ/ عبد الرازق عيد للمصلين عن سلوك هذا الخطيب، مؤكدًا أن هذا المنهج ليس منهج جمعية أنصار السنة.

وكان للشيخ/عبد الرازق عيد ولإخوانه في جمعية أنصار السنة بالمنصورة فضل السبق في أداء صلاة العيد بالخلاء، ولم يكن هذا بالأمر المشتهر آنذاك؛ حيث أُديت أول صلاة عيد بجوار مسجد التوحيد، ثم بميدان مبنى المحافظة، حتى خصص محافظ الدقهلية الملعب الكبير بإستاد المنصورة ليكون ساحة أداء صلاة العيد واستمر ذلك لما يزيد عن ثلاثين عامًا.

ومن مواقفه التي تحمد له أنه طيلة عمله بالدعوة لم يحصل على بدل انتقال لأداء الخطب والمحاضرات محتسبًا الأجر على ذلك عند ربه عز وجل.

مقالة ثابتة بمجلة التوحيد:

كان للشيخ/عبد الرازق عيد مقالة ثابتة بمجلة التوحيد عن القصة في القرآن الكريم؛ كانت سلسلة تناول فيها قصص القرآن الكريم عامة وقصص الأنبياء خاصة واستخرج منه العظة والعبرة والفوائد والأحكام، ومؤخرًا انتقل إلى الكتابة في التاريخ الإسلامي تحت عنوان "من الأحداث المهمة في تاريخ الأمة". فتحدث عن الفتنة بين الصحابة، وردّ على كثير من الشبهات، وذلك من خلال تناوله لمعركة صفين، كما تناول العديد من الأحكام الفقهية الدقيقة كقتال أهل البغي، ومعاملة الأسرى، ويشير إلى بقاء الأخوة رغم التقاتل.

وكان آخر ما كتب الشيخ/عبد الرازق عيد عن معركة أجنادين-وهي أول لقاء بين المسلمين وبين الإمبراطورية الرومية في فتوحات الشام في خلافة أبي بكر الصديق- وقد أجاد وأفاد في هذا المقال، وختمه بقوله: "... هذا ما تيسر إيراده في هذه العجالة، وإن كتب الله لنا البقاء واللقاء نفرد لقاءً خاصًا بالدروس المستفادة من فتوح الشام...". وقرأت هذا المقال فجر الخميس، ويعلم ربي سبحانه وتعالى أني انتويت أن اتصل بشيخنا الكريم هذا اليوم لأشكره على هذا المقال الطيب، ولكني فوجئت باتصال هاتفي في التاسعة من صباح يوم الخميس الثاني من جمادى الأولى الموافق ٢٠٢٠/١٢/١٧م؛ من د. حسن إبراهيم يخبرني فيه بوفاة شيخنا الحبيب.

وصلى عليه إخوانه وأبناؤه وأحباؤه صلاة الجنازة في قرية الخيارية التي وُلد فيها ودُفن فيها بعد رحلة عامرة بالدعوة إلى الله تعالى، وأمّنا في صلاة الجنازة فضيلة الشيخ/ عبد الله رجب الرئيس الأسبق لجمعية أنصار السنة بالمنصورة وصفيّ فضيلة الشيخ /عبد الرازق عيد وجاره، وكان بينهما من الودّ الخالص والمحبة في الله ما زادته السنون رسوخا، وهذا مثال على أن الشيخ /عبد الرازق عيد قد تداخل في حياة جميع إخوانه، فكان ناظمة العقد لأنصار السنة بالمنصورة، وكان مثالا صادقا على الحبّ لدين الله عز وجل، والأخوة الصادقة في الله، والحرص على السنة والتمسك بها، مع تواضع جمّ ولين ظاهر لجميع إخوانه ولا نزكيه على الله تعالى.

والمصيبة في والدنا الكريم وشيخنا الحبيب فضيلة الشيخ /عبد الرازق عيد عظيمة وثلمة لا تسدّ، وإن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقه لمحزونون، ولا نملك إلا أن نمتثل لأمر ربنا عز وجل فنقول: (إنّا للّه وإنّا إليْه راجعُون)، ولأمر نبينا صلى الله عليه وسلم، فنقول: "اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرًا منها". اللهم اغفر لشيخنا /عبد الرازق عيد وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونور له فيه.. اللهم آمين.

كلمة التحرير

آلام وآمال ..
بين عام رحل وعام يجيء

إعداد **جمال سعد حاتم**

الحمد لله مسيِّر الأزمان ومدبِّر الأكوان، يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن، لا يشغله شأنٌ عن شأن، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وبعد:

فبالأمس القريب ودَّع العالم أجمع عامًا ميلاديًا انتشر فيه فيروس كورونا الذي أصاب أكثر من ثمانين مليونًا في أنحاء المعمورة، عامًا حمل في بدايته جائحة أربكت العالم كله وزلزلت أركانه، وأربكت حساباته، وعطلت مسيرته، جائحة جاءت من دون تمهيد ولا سابق معرفة، واستقبلنا عامًا جديدًا بعد أن ودَّعنا سلفه الذي حمل لنا وباءً جثم على صدور الملايين، وأودى بحياة مئات الألوف، وما زال يمارس نشاطه المستتر بغزو الأجساد، دون قاعدة واضحة، فهو حريص على ألا يعطي مفاتيحه الحقيقية لمن يحملون العبء الأكبر من الفريق الطبي، فقد ضرب الوباء الذي ظهرت بوادره في الربع الأخير من عام ٢٠١٩م، واستمر مع شهور عام ٢٠٢٠م، حتى فرَّق بين الأقارب والأصدقاء، والأعزاء والأعداء، لم يترك رئيسًا ولا مرؤوسًا، ولا وزيرًا ولا غفيرًا.

يأتي هذا الوباء بعد مائة عام من تفشِّي الأنفلونزا الإسبانية، وكأنما هي دورة تمر بين الزمان تذهب وتعود، نتضرع في عامنا الجديد أن يكشف عنا الرحمن عز وجل ما حل بالبشر فلا كاشف لنا إلا هو، وهو أرحم الراحمين.

العبرة من انقضاء الأعوام

ومع انقضاء ورحيل عام ميلادي قد مضى بكل ما حمل في طياته من آلام، كم ترك في النفوس من لوعة على فراق أحبة لنا مضوا خلال العام راحلين، وانقطع ذكرهم، وغدوا أثرًا بعد عين، استُلُّوا من بيننا دون اختيار، ومضوا إلى الواحد القهار، وإن في الله عزاءً من كل مصيبة، وجبرانًا من كل نقيصة، وخلفًا من كل فائت، فاللهم اغفر لهم أجمعين، وارفع درجتهم في المهديين، واخلفهم في عقبهم في الغابرين، واغفر لنا ولهم يا رب العالمين، وافسح لهم في قبورهم، ونوِّر لهم فيها وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه يا أرحم الراحمين.

انقضى العام، وكم ألم بنا من أهوال عظام، وأحداث جسام!، مرت بنا خلال العام، أقضت المضاجع، وأفزعت القلوب من ظلم الظالمين، وكيد الماكرين، الذين كادوا أوطاننا الإسلامية ومارسوا فيها أسوأ أنواع التآمر، وعاثوا في الأرض فسادًا، وشتَّتوا شمل المسلمين.

إن تغيُّر الأحوال، وانقضاء الآجال، وانقطاع الأعمال والآمال، وما يحدث من الفواجع والأهوال، وما يُنزل الله بالألطاف بالمسبحين له في الغدو والآصال، كل ذلك مما يشعرُ بعجز المخلوق وضعفه، وشدة حاجته وافتقاره إلى خالقه ومولاه ومعبوده وحده دون سواه، ويُحفز العاقل على الرجوع إلى ربه والتعلق به وحده والتمسك بدينه، والسير على هدي نبيه صلى الله عليه وسلم.

وملازمة تقوى الله تعالى في سائر الأحوال، فإنها عنوان السعادة، وسبيل الفلاح، فالدنيا محفوفة بالأنكاد والأكدار، والشرور والأخطار، ولا يهذبها ويصفيها، ويُسلم العبد من شر ما فيها إلا الاستقامة على الدين، والاستعانة بما فيها على طاعة رب العالمين، كما قال تعالى في كتابه المبين: (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ) (طه: ٨١، ٨٢).

وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأعراف: ٩٦)، فاغتنموا فرص الحياة فيما يقربكم إلى الله، وليكن لكم من مرور الليالي والأيام، وتصرُّم الشهور والأعوام، وما يحدث في طياتها من الحوادث الجسام والأهوال العظام عبرٌ ومزدجر وعمل صالح تجدون ثوابه عند الله مدخرًا.

تتقلب في أسلاب الهالكين بين غاد ورائح

مع انقضاء عام ميلادي بكل ما حمل، تقطعت فيه الأوصال بين دول عالمنا العربي والإسلامي، وانقطعت اللحمة، وتفككت الأوصال، إلا مع الكيان الصهيوني الذي سارعت الكثير من دول الخليج وغيرها في توقيع معاهدات سلام مع من يحتل أرضنا، ويغتصب قدسنا، ويُدنس فيه الأقصى الشريف، ويدنسه بمستوطنيه يقتحمون، ويمنعون الفلسطينيين من دخوله بمباركة غربية.

كما تقطعت أوصال العلاقات بين دول الخليج بعضها البعض، وبدت إعادة العلاقات بينهم أمرًا مستحيلاً، مع تعميق العلاقات مع العدو الصهيوني من ناحية، وبين البعض وبين إيران من ناحية أخرى، وتركيا من ناحية ثالثة، وراحت إسرائيل وايران وتركيا يتقاسمون الدول العربية في العراق ولبنان وسوريا وليبيا، وغيرها من الدول العربية، مستنزفين مقدراتها ناهبين ثرواتها.

مع تعقد مفاوضات سد النهضة، واشتعال الحرب بين السودان وإثيوبيا، وانقسام دول الاتحاد الأوروبي، والصراع بين تركيا من جانب، وفرنسا واليونان من جانب آخر، وقبل هذا كله اتفاقيات التطبيع بين الإمارات العربية والمغرب والسودان والبحرين واسرائيل في تحوّل سياسي كبير.

ومن أهم أحداث العام الذي مضى، ما حدث بين فرنسا والعالم الإسلامي من نزاع بسبب إعادة نشر الرسوم المسيئة للرسول الكريم نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم.

وينقضي العام بكل ما حمل؛ فهل لنا أن نتعظ ونعتبر؟، ونأخذ من تعاقب الليالي والأيام، وتصرُّم الشهور والأعوام أعظم العبَر وأبلغ العظات، لننتفع من ذلك ما دمنا على قيد الحياة بالتوبة إلى الله من الزلات، والاجتهاد في أنواع الطاعات، والمنافسة في جليل القربات، وما يوصل إلى رفيع الدرجات قبل الفوات وحصول الحسرات على عظيم الهفوات.

ألا ترون أنكم في هذه الحياة تتقلبون في أسلاب الهالكين، وستذهبون رغمًا عنكم وتورثونها لخلفكم اللاحقين؟! وها أنتم في كل ساعة تشيّعون غاديًا ورائحًا إلى الله عز وجل ممن تعرفون وممن لا تعرفون، قد قضى نحبه ومضى حقا إلى ربه فتودعونه وتدعونه في صُدع من الأرض غير ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنيًا عما خلف، فقيرًا إلى ما أسلف، أليس في ذلكم معتبر، وعن الغيّ مُزدجر؟!

فاتقوا الله يا أولي الألباب، (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)(البقرة: ٢٨١).

مع استقبال عام جديد

ونحن نعيش في بدء عام ميلادي يأتي بعد الذي مضى ورحل، نرجو ألا يكون ثقيلا وموحشا كسابقه، نتمنى أن نشهد فيه نهاية لكل الأزمات التي حلت بنا، وأن نصل إلى حل لأزمتنا مع إثيوبيا، حتى يقينا شر الدخول في بدائل وخيمة قد نضطر إليها، رغم أن مصر قد التزمت بكل الوسائل والسبل التي تجنبها ذلك، ولكن للصبر حدود.

ونرجو أن يشهد العالم العربي حالة من الأمن والاستقرار في سوريا والعراق واليمن وليبيا ولبنان وتونس.

أمنيات تلوح في الأفق تحقق المصالحة العربية

أثناء كتابة تلك الأسطر، كانت تلوح في الأفق مبشرات مصالحة كانت تبدو شبه مستحيلة بجهود كويتية تبذل منذ بدأها أمير الكويت الراحل رحمه الله، ولكن هذه المرة كانت بدفع من أمريكا وبعض الجهات الأجنبية لتحقيق مصالحة تاريخية بين دول الخليج ومصر من ناحية، وقطر من ناحية أخرى، ومع أمنيات وأمان وآمال بعودة الوفاق والوئام واللحمة بين الدول العربية.

ودائمًا ومع إطلالة عام، وذهاب عام يبرز للمتأمل أحداث عظام، وقضايا جسام، يجدر بالعاقل الفطن أن يقف عندها وقفات، ويسترجع فيها الذكريات، يجدد العهد، ويبرم العقد ينظر في ماضيه، وما أحدث فيه، ويتأمل في مستقبله وما عزم أن يفعله فيه، إن مدّ الله في أجله وزاد في عمره، وأدام له نعمه وفضله.

وقفات تبرز خلال هذه الأيام، فينبغي للمسلم أن

يقف عندها وقفة متأنية، وقفة مراجعة واعتبار بما حدث ووقع في السنين الماضية؛ حيث تفتت الكلمة، وخارت قوى العرب والمسلمين بسبب تفرقهم وضعفهم وما يحيط بهم من مخاطر من كل فج عميق.

فما بين عدو إسرائيليّ يحتل فلسطين وأجزاء من الأردن ولبنان، والجولان، وضم القدس بمباركة الأمريكان، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس.

ومع بداية عام نستقبله، ونستقبل معه حدثًا جللاً بتلك المصالحة التي تمت بالأمس في المدينة بالسعودية، وأثناء انعقاد اجتماع مجلس التعاون الخليجي في المملكة وبحضور مصر ممثلة بوزير خارجيتها والذي عُقد في منطقة العلا، بحضور الأمير تميم أمير قطر، والتي تم خلالها الإعلان عن إعادة العلاقات بين دول الخليج ومصر من ناحية، وقطر من ناحية أخرى، بعد أن تم الاتفاق على الاشتراطات التي توافقت عليها القمة لإتمام المصالحة، والتي سيكشف الكثير من كواليسها خلال الساعات القادمة.

فأولى هذه الوقفات بداية عام ونهاية عام، أننا حينما نستقبل عامًا ونودع عامًا آخر لهو حدث ينبغي الوقوف عنده، وإن كان في نظر بعض الناس أمرًا عاديًا، ذلك أن هذا العام قد مضى من أيام أعمارنا، وذهب من سني آجالنا، وأصبحنا إلى الموت أقرب ونحن تسعدنا الأيام إذا ذهبت؛ لأننا نتطلع إلى الدنيا وزخارفها، وقد مددنا الآجال، وسوّفنا في الأعمال، وبالغنا في الإهمال.

فيا أيها المؤمن احذر من الأيام وتسارعها فإنها غدارة، كم من مؤمل ببلوغ آمال أصبح رهنًا القيود!، وكم من مُفرط في الأعمال أصبح بعدها مغبونا، فاغتنم فرصة حياتك وشبابك، وفراغك وصحتك وغناك، قبل أن تفقدها وتفقد بعضها، فتصبح من النادمين.

بين الظالم والمظلوم وقفة محاسبة

ومع استقبالنا للأيام الأول من الشهر الأول من عام ميلادي جديد نبتهل إلى المولى سبحانه أن يزيل عنا البلاء والوباء، وأن يكون هذا العام عام يسر وفرج على العالم أجمع، فينقشع هذا الوباء إلى غير رجعة بكل ما حمل من آلام وأحزان.

ومع استقبالنا لعام ٢٠٢١م، بعد أن ودعنا سابقه الذي ذهب غير مأسوف عليه، فإننا نسوق إلى كل من لا يعتبر العبرة والعظة بأن نهايته وشيكة على يد العزيز العظيم الجبار، مهما طغى وعلا وأفسد، وأرعد وأزبد، فإن الله له بالمرصاد، وحتى إذا أخذه لم يفلته، أخذه أخذ عزيز منتقم، فمهما طال بالظالم العمر، وعظمت به القوة والسطوة، فليتذكر مصير فرعون حينما استغاث به بعد فوات الأوان، ونادى بأعلى صوته وقال: (آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (يونس: ٩٠)، فقال الله تعالى: (آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) (يونس: ٩١، ٩٢).

ومهما طال بالمظلوم تسلط الظالم عليه وملاحقته له، فليتذكر سنة الله عز وجل في نصره أولياءه وقمعه أعداءه في قصة نجاة نبي الله موسى عليه السلام التي أعقبها بالشكر والثناء على المولى المنعم، والقوي المنتقم.

ومع قدوم وبدء عام جديد، فليتذكر المسلم ساعة الاحتضار؛ حيث يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمان، وأُخّر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات، فقال الله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «قال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها».

فلتغتنم حياتك قبل أن يأتي وقت تقول: (رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ)(المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)، وهيهات هيهات.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المنافقون: ٩-١١).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا من يومنا، ويُحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خير الدنيا وعذاب الآخرة، فاللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

بين الادعاء والصدق في محبَّة خير الخلق صلى الله عليه وسلم

الحلقة الثالثة والأخيرة

إعداد:

د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله الذي زيّن قلوب أوليائه بمحبة رسوله وألزم قلوب المحبين باتباع شرعه، وصلاة وسلامًا دائمين على عبده ورسوله وصفيه من خلقه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه، وبعد:

فقد بدأنا في شهر ربيع الآخر شرح حديث صحيح من دلائل الإعجاز النبوي وكان اختياره مناسبة لما بدا من شرذمة حاقدة جاهلة على من أرسله الله رحمة لها ولغيرها من العالمين وكانت المساهمة بيانًا لبعض حقوقه صلى الله عليه وسلم وبشرى بانتقام الله له، ثم خُتم الرحيق ببعض مواقف من محبة أصحابه له.

هذا، واستكمالاً لما سبق نقول وبالله تعالى التوفيق:

الحديث:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ، وَقَرَأَ البَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَادَ نَصْرَانِيًّا، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَقَالُوا: هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا لَهُ فِي الأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَعَلِمُوا: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ، فَأَلْقَوْهُ. (صحيح البخاري: ٣٦١٧).

التخريج: هذا الحديث متفق عليه، وقد تقدم تخريجه وشرحه تفصيلاً في الحلقة الأولى في شهر ربيع الآخر، وفيما يتعلق بفوائد الحديث تقدم في الحلقتين السابقتين بيان ما يلي:

- أنَّ الابتلاء سنة من سنن الله عز وجل.
- وأنّ الله -تبارك اسمه وتعالى شأنه- ناصرٌ دينه ومنتقم لنبيه لا محالة.
- ثم بينّا حُكم السبّ ومناطه، وأنه أشد من الردة وبينا كذلك أن هذه الأحكام النظرية يتولى إقامة حدودها العملية ولي أمر المسلمين، ولا يُترك لعوامهم؛ وذلك صيانةً للمجتمع المسلم من الفوضى.
- وبيّنا كذلك وجوب الحذر من الفتن خوفًا من

النكوص.

إذ في أخبار الناكصين على أعقابهم عِبَر للمعتبرين، وآيات للمتعظين، كما قال سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣).

- ثم دللنا على وجوب تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاد العبد في تنمية ذلك في قلبه. فليراجع جميعه تفضلاً.

ثم ها نحن اليوم نختتم بما ييسره الله تبارك وتعالى، ويفتح به من بيان: دَوْرُنا تجاه هذه المحنة، ثم يكون مسك الختام بذكر نماذج من محبة سلفنا الكرام لنبينا عليه الصلاة والسلام.

ومما يستفاد من الحديث استكمالا لما سبق:

أولاً: وجوب محبة النبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه:

ودلالتها من الحديث هي محبة الله ونصرته له صلى الله عليه وسلم والتي توجب على الخلق محبته. ومكنون في صدور المؤمنين أنَّ حُبَّ النبي هو أسمى العلاقات، وأرفع المقامات، وهو سلوة الفؤاد وهو إخلاص وصفاء ونقاء، نعم.. وبحبه تُغفر الزلات وتُقال العثرات وتُرفع الدرجات، ودليل ذلك ما ثبت أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددتَ لها ؟» قال: لا شيءَ إلا أني أحبُّ اللهَ ورسولَه. فقال: «أنتَ مع مَنْ أحببتَ» (رواه البخاري: ٣٦٨٨).

وهذه المحبة ليست كما يتفرق المخالفون في خيالات الهوى والآراء من وَجْد صوفي أو تصور علماني وإنما هي محبة شرعية عقدية منبعها الكتاب والسنة. لذا فإننا نقول: لا شك أن محبته صلى الله عليه وسلم والدفاع عن سُنّته واجب حتمي على المؤمنين فلا يختلف في ذلك اثنان ولا ينتطح فيه عنزان. لكن الخلاف الواقع في ترجمة هذه المحبة إلى عمل فلا يقتصر الإيمان على الاعتقاد والادعاء دون العمل، وهو واضح لدى أهل السنة والجماعة من علماء الملة؛ إذ الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ، وعلى هذا فلو توفر الاعتقاد والقول ولا نشك فيه عند عقلاء المؤمنين فهي فطرة فطر الله عليها القلوب فلو توفر هذا وهو واقع فماذا بقي إذن مما وجب؟ نقول: بقي الشرط الثالث وهو العمل بهذه المحبة يا عباد الله: فالمحبة ليست نافلة بل هي فريضة واجبة.

عن عبد الله بن هشام قال: "كُنّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو آخذٌ بيد عُمرَ بنِ الخطّاب، فقال له عُمرُ: يا رسولَ اللَّه، لأنتَ أحبُّ إليَّ من كُلِّ شيءٍ إلا من نفْسي، فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا، والذي نفْسي بيدِه، حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفْسِك فقال له عُمرُ: فإنّه الآنَ، واللهِ، لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفْسي، فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: الآنَ يا عُمرُ» (رواه البخاري: ٦٦٣٢). وبذلك يُعلم أن محبته صلى الله عليه وسلم أصلٌ من أصول الدين.

ثانيًا: دلائل محبة النبيِّ صلى الله عليه وسلم:

فإن كانت المحبة واجبة فهي تحتاج إلى برهان يدل عليها. ومن ذلك:

١- أن الله أمر بتعزيره وتوقيره قال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (الفتح: ٩).

قال شيخ الاسلام رحمه الله: "التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كلّ ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال، وأن يُعامَل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كلّ ما يخرجه عن حدّ الوقار" (الصارم المسلول: ص٤٢٢).

هذا وقد رتَّب الله تعالى الفلاح العام في الدنيا والآخرة على مَن حقَّق هذا الأدب تجاه النبي الكريم وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧). وعليه فقد علم وجوب تعظيمه وتوقيره ولا يكون إلا من مُحبّ. (ينظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، ص٤٢٢).

٢- ومن أهم دلائل محبّته صلى الله عليه وسلم:

- أن نُحقّق محبّته اعتقادًا وقولاً وعملاً كما أسلفنا، ثم نقدمها على محبّة النفس والولد والناس أجمعين. كما جاءَ في حديث عمرَ السّابق. وكذلك يقول الله -تعالى-: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤).

يقول القاضي عياض عن هذه الآية: "فكفى بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها -صلى الله عليه وسلم-؛ إذ قرّع -سبحانه- من كان ماله وأهله وولده أحبَّ إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله -تعالى-: (فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره)، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله" (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ١٨).

وعن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"(رواه مسلم: ٤٤).

- ومن أظهر دلائلها الاتباع وتحريم الابتداع قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌ"(متفق عليه من حديث أمِّنا عائشة رضي الله عنها)؛ فهذا الحديث يحتوي قاعدة من قواعد الإسلام وأصلاً عظيمًا من أصوله، فما خالف أمرنا مردود وما وافقه مقبول. قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: "وهذا الحديث أصلٌ عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها كما أنّ حديث: الأعمال بالنيّات ميزان للأعمال في باطنها، فكما أنّ كل عمل لا يُراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كلّ عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله، فهو مردودٌ على عامله، وكلّ من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء". اهـ

وقال كذلك: "فهذا الحديث يدلُّ بمنطوقه على أنّ كلَّ عملٍ ليس عليه أمر الشارع، فهو مردود، ويدلُّ بمفهومه على أنّ كلَّ عمل عليه أمره، فهو غير مردود، والمراد بأمره هاهنا: دينه وشرعه، كالمراد بقوله في الرواية الأخرى: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ". فالمعنى إذاً: أنّ مَنْ كان عملُه خارجاً عن الشرع ليس متقيداً بالشرع، فهو مردود". اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: "وهذا الحديثُ معدودٌ من أصُول الإسْلام، وقاعدةٌ من قواعده، فإنَّ معْناه: مَنْ اخْترع منَ الدّين ما لا يشْهدُ لهُ أصلٌ منْ أصُوله فلا يُلتفتُ إليه".

وقال النّوويُّ (في شرحه لصحيح مسلم): "هذا الحديثُ مما ينْبغي حفْظُهُ واسْتعْمالُهُ في إبْطال الْمُنْكرات وإشاعة الاسْتدْلال به كذلك". اهـ.

وقبل السنة الكتاب وكله يهدي لما أسلفنا، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧). وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ (النور: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣١-٣٢).

ثالثًا: نماذج من مواقف الصحابة رضوان الله عليهم تُبيّن محبتهم له:

وأولها العملي: فهي مواقف عملية لذلكم الجيل الفريد أثبتوا بها أن الإيمان بالنبيّ ومحبته أصل عظيم في قلوبهم عبّروا عنه بألسنتهم ودلّوا عليه بجوارحهم:

- فهذا أبو أيوب الأنصاري: رضي الله عنه لما نزل عليه النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم بعد الهجرة، فنزل النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم في السُّفل، وأبو أيُّوب في العلو، قال: فانْتبه أبو أيُّوب ليْلةً، فقال: نمْشي فوْق رأس رسول الله صلّى اللّهُ عليه وسلّم، فتنحّوْا فباتُوا في جانب، ثُمّ قال للنبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم -أي: كلمه في أن يصعد إلى العلو-. فقال النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم: السُّفْلُ أرْفقُ. فقال: لا أعْلُو سقيفةً أنْت تحْتها. فتحوّل النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم في العُلُو، وأبو أيُّوب في السُّفْل. فكان يصْنعُ للنبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم طعامًا فإذا جيء به إليه سأل عن موْضع أصابعه فيتتبّعُ موْضع أصابعه. فصنع له طعامًا فيه ثُوم، فلما رُدّ إليه سأل عن موْضع أصابع النبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم، فقيل له: لم يأكُل، ففزع وصعد إليه، فقال: أحرامٌ هُو؟ فقال النبيُّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم: لا ولكنّي أكْرهُهُ. قال: فإنّي

أكرهُ ما تكرهُ، أوْ ما كرهْتَ. قال: وكانَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَمَ يُؤتَى -يعني: يُوحى إليه-. (مسلم ٢٠٥٣) وفعل أبي أيوب تضمَّن محبة وتوقيرًا واتباعًا وايثارًا.

- بل حتى في مباحاتهم مما هو جبليّ كالمطعوم والمشروب تشكلت طبائعهم بطبعه صلى الله عليه وسلم محبةً له: فهذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "نعم الإدام الخل. قال جابر: أخذ رسول الله بيدي ذاتَ يومٍ إلى منْزله، فأخْرَجَ إليْه فلقًا من خُبزٍ، فقال: ما من أُدْمٍ؟ فقالوا: لا إلا شيءٌ من خلٍّ، قال: فإنَّ الخلَّ نعمَ الأُدُمُ. قال جابرٌ: فما زلْتُ أُحبُّ الخلَّ مُنْذُ سمعْتُها من نبيِّ الله. وقالَ طلْحةُ: ما زلْتُ أُحبُّ الخلَّ مُنْذُ سمعْتُها من جابرٍ. (رواه مسلم ٢٠٥٢)، ومنه الكثير في كتب السنة فليراجع تفضلاً.

- ونماذج قولية: أما عن أقوالهم المعبِّرة عن مكنون صدورهم فحدّث ولا حرج، يعجز المرء أمامها كأنهم ليسوا من بني آدم مع أنهم قبل إسلامهم لم يكونوا على شيء بل كانوا ضُلالاً فهداهم الله بصدقهم.

- فهذا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول للعباس: "يا عباسُ والله لإسلامُك يوم أسلمتَ أحبُّ إليَّ من إسلامِ أبي لو أسلمَ، وما بي إلا أني قد عرفتُ أنَّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسولِ الله صلى اللهُ عليه وسلَمَ من إسلامِ الخطاب" (جزء من حديث في المسند ٢٣٩٢، من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في قصة إسلام أبي سفيان يوم فتح مكة).

- وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "وما كانَ أحَدٌ أحَبَّ إليَّ مِن رَسولِ الله صَلى اللهُ عليه وسلَم، ولا أجلَّ في عَيْني منه، وما كُنتُ أُطيقُ أنْ أملأَ عيْنَيَّ منه إجْلالًا له، ولو سُئلْتُ أنْ أصفَهُ ما أطَقْتُ؛ لأنِّي لَمْ أكُنْ أمْلأُ عيْنَيَّ منه" (رواه مسلم: ١٢١).

- وسئل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قال: "كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ" (الشفا: ٢/ ٥٦٨)

- وسأل أبو سفيان بن حرب -وهو على الشرك حينذاك- زيد بن الدثنة رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقلتوه -وكان قد أُسرَ يوم الرجيع- أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدًا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك؟، قال: "والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في أهلي".

فقال أبو سفيان: "ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحُبِّ أصحاب محمد محمدًا" (البداية لابن كثير ٤/ ٦٥، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٣/ ٣٢٦، ولكن في أمر خُبَيْب).

وما أجمل ما قاله قيس بن صرمة الأنصاري:

نُعادي الَّذي عادى منَ النَّاس كُلَّهمْ
جميعًا وَإنْ كانَ الْحَبيب الْمُصافيا
بَذَلْنا لهُ الأَمْوالَ منْ جُلِّ مَالنا
وَأنْفُسنا عنْدَ الوَغى والتَّأسيًا
ونَعْلمُ أنَّ اللَّه لا شيْءَ مثْلُهُ
وأنَّ كتاب اللَّه أصْبح هاديا

(روضة المحبين لابن القيم رحمه الله: ص٢٧٧).

والحمد لله أولاً وآخرًا.

عزاء واجب

توفيت إلى رحمة الله تعالى زوجة الشيخ: أبو العطا عبد القادر ، ووالدة الزميل: أيمن أبو العطا.

وتتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء لأسرة الشيخ، ونسأل الله أن يرحمها رحمة واسعة، وأن يرفع في الجنَّة درجاتها، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا؛ إنا لله وانا إليه راجعون.

أسرة التحرير

فقه المرأة في النكاح

الحلقة (٤١)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن الشرط الأول من شروط النكاح وهو الإيجاب والقبول من الطرفين، وذكرنا الألفاظ التي ينعقد بها النكاح، وهل رضا المنكوحة واجب أم مستحب؟ ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح، سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

أولاً: الشرط الثاني: تعيين الزوجين:

التعين شرط في صحة عقد الزواج، ومعنى ذلك أن يخطب الرجل امرأة بعينها فيقبل ذلك، فلا يجوز أن ينصرف القبول إلى غيرها، وكذلك المرأة إذا قبلت رجل بعينه فلا يجوز أن ينصرف القبول إلى غيره.

أقوال أهل العلم:

جاء في روضة الطالبين (٣٨٩/٥): "يشترط في كل واحد من الزوجين أن يكون معيّنًا، فلو قال: زوجتك إحدى ابنتي أو قال زوجت بنتي أحدكما أو أحد ابنيك لم يصح، ولو كان له بنت واحدة فقال: زوجتك بنتي صح وإن لم يسمها".

قال صاحب المغني (٣٨٢/٦): "من شرط صحة النكاح تعيين الزوجين؛ لأن كل عاقد ومعقود عليه يجب تعيينهما كالمشتري والمبيع، ثم ينظر فإن كانت المرأة حاضرة فقال زوجتك هذه، صح فإن الإشارة تكفي في التعين، فإن زاد على ذلك فقال ابنتي هذه أو هذه فلانة كان تأكيدًا، وإن كانت غائبة فقال زوجتك ابنتي وليس له سواها جاز. فإن سماها باسمها مع ذلك كان تأكيدًا، فإن كان له ابنتان أو أكثر فقال زوجتك ابنتي لم يصح حتى يضم إلى ذلك ما تتميز به من اسم أو صفة. فيقول زوجتك ابنتي الكبرى أو الوسطى أو الصغرى، فإن سماها مع ذلك كان تأكيدًا".

وفي السيل الجرار (٢٧٥/٢): "قال الشوكاني: هذا أمر لا بد منه ولولا ذلك لم يكن العقد على شيء يعقد ولا يسمى عقدًا ولا يثبت له أحكامه ويكون التعين بما يفيد ذلك، من ذكر اسم المنكوحة أو لقبها أو وصفها أو الإشارة إليها أو سبق التواطؤ عليها".

الشرط الثالث: الولي:

الـولي شرط في صحة العقد عند جمهور

السلف والخلف، وقد جاء ما يدل على ذلك في كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ» (البقرة: ٢٣٢).

وعن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا نكاح إلا بولي» صحيح سنن أبي داود (٢٠٨٥) ومسند أحمد (٣٩٤/٤) وصحيح الترمذي (١١٠١) وابن حبان (٤٠٦٥) وصحيح ابن ماجه (١٨٨١).

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيُّما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحُها باطل فنكاحُها باطل فنكاحُها باطل فإنْ دخل بها فلها المهرُ بما استحل منْ فرجها فإنْ اشتجرُوا فالسلطان ولي منْ لا ولي له» صحيح سنن الترمذي (١١٠٢) ومسند أبي عوانة (٤٠٣٧) وصحيح سنن أبي داود (٢٠٨٣) ومسند الإمام أحمد (٢٤٢٠٥) وابن حبان (٤٠٦٢).

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأيِّم أحق بنفسها منْ وليها والبكرُ تُستأذنُ في نفسها وإذنُها صُماتُها». أخرجه مسلم (١٤٢١) وأبو عوانة (٤٢٤١) والترمذي (١١٠٨) وأبو داود (٢٠٨٩) وغيرهم.

مذهب جماهير العلماء من السلف والخلف أن النكاح بغير ولي باطل، وحجتهم في ذلك الآية الكريمة وأحاديث الباب، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وابن حزم وغيرهم من الأئمة.

وخالفهم في ذلك أبو حنيفة، وحجته أنه ضعف حديث «لا نكاح إلا بولي» والحديث صحيح عند جمهور المحدثين والفقهاء واحتج أيضًا بحديث ابن عباس المتقدم وفيه... «والأيِّم أحق بنفسها» فأجاز تزويج الثيب نفسها بدون ولي، ووافقه في جواز زواج الثيب بدون ولي داود الظاهري.

أقوال أهل العلم:

أولا: من قال النكاح بغير ولي باطل:

جاء في المدونة (١٠٦/٢): "بعد أن ذكر الآية الكريمة، فالعضل من الولي وأن النكاح لا يتم إلا برضا الولي المزوِّج ولا يتم إلا به، واستدل بأحاديث منها حديث عائشة المتقدم في الباب".

قال الشافعي في الأم (٢٢/٥): "بعد أن ذكر الآية كما تقدم، قال: وهذا أبين ما في القرآن من أن للولي مع المرأة في نفسها حقا، وأن على المولى أن لا يعضلها إذا رضيت أن تنكح بالمعروف، وجاءت السنة بمثل معنى كتاب الله عز وجل... وساق حديث عائشة المتقدم في الباب، ثم قال: فأي امرأة نكحت بغير إذن وليها فلا نكاح لها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فنكاحها باطل».

جاء في مطالب أولى النهى (٦٠/٧): "والأصل في اشتراط الولي حديث أبي موسى مرفوعًا «لا نكاح إلا بولي» رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه أحمد وابن معين. قاله المروذي، وقال: سألت أحمد ويحيى عن حديث: «لا نكاح إلا بولي» فقالا: صحيح وهو لنفي الحقيقة الشرعية لا اللغوية، بدليل ما روى عن عائشة مرفوعًا «أيُّما امرأة نكحتْ بغير إذن وليِّها فنكاحُها باطل...» الحديث، ولا يمكن أن يقال حمل الرواية الأولى على نفي الكمال لأن كلام الشارع محمول على الحقائق الشرعية، أي: لا نكاح شرعي أو موجود في الشرع إلا بولي، أما الآية فالنهي عن العضل عم الأولياء، ونهيهم عنه دليل على اشتراطهم، إذ العضل لغة: المنع، وهو شامل للعضل الحسي والشرعي، ثم الآية نزلت في معقل بن يسار حين امتنع من تزويج أخته فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فزوجها ولو لم يكن لمعقل ولاية وأن الحكم متوقف عليه لما عوتب عليه.

قال الصنعاني في سبل السلام (١٧٢/٣): في معرض شرحه لحديث أبي موسى المتقدم، الحديث دل على أنه لا يصح النكاح إلا بولي لأن الأصل في النفي نفي الصحة لا الكمال...

وحكي عن ابن المنذر أنه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك وعليه دلت الأحاديث.

وفي المحلى (٩/٢٥): "قال ابن حزم: ولا يحل للمرأة نكاح - ثيبًا كانت أو بكرًا - إلا بإذن وليها".

قال صديق خان في الروضة الندية (٢/١٦): "وفي الباب أحاديث. قال الحاكم: وقد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش ثم سرد تمام ثلاثين صحابيًا. أقول: الأدلة على اعتبار الولي وأنه لا يكون العاقد سواه وأن العقد من المرأة لنفسها بدون إذن وليها باطل، قد رويت من طريق جماعة من الصحابة فيها الصحيح والحسن... إلى أن قال: ولا يعارض هذه الأحاديث حديث: «الأَيِّمُ أَحَق بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ» ونحوه، لأن المراد أنها أحق بنفسها في تعيين من تريد نكاحه إن كانت ثيبًا والبكر يمنعها الحياء من التعيين فلا بد من استئذانها وليس المراد أن الثيب تزوج نفسها أو توكل من يزوجها مع وجود الولي فعقد النكاح أمر آخر، وبهذا تعلم أن لا وجه لما ذهبت إليه الظاهرية من اعتبار الولي في البكر دون الثيب".

ثانيًا: من قال بعدم اشتراط الولي:

قال الكاساني في بدائع الصنائع (٢/٣٧٠): "ولأبي حنيفة: الكتاب العزيز والسنة والاستدلال، أما الكتاب فقوله تعالى: «وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا» (الأحزاب: ٥٠). فالآية الشريفة نص على انعقاد النكاح بعبارتها، وانعقادها بلفظ الهبة فكانت حجة على المخالف في المسألتين وقوله تعالى: «فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ» (البقرة: ٢٣٠). والاستدلال به من وجهين:

أحدهما: أنه أضاف النكاح إليها، فيقتضي انتهاء الحرمة عند نكاحها نفسها وعنده لا تنتهي، وقوله عز وجل «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا» (البقرة: ٢٣٠) أي يتناكحا، أضاف النكاح إليهما من غير ذكر الولي... إلى أن يقال وكذا قوله صلى الله عليه وسلم: «لا نكاح إلا بولي» مع ما حكي عن بعض النقلة أن ثلاثة أحاديث لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدَّ من جملتها هذا.

تعقيب وترجيح

أرى -والله تعالى أعلم- أن الصواب في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الجمهور منهم الأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد وابن حزم وغيرهم من الأئمة من أن الولي شرط في صحة العقد وأن النكاح بغير إذن الولي باطل -والبكر والثيب في ذلك سواء- كما دلت الآية على ذلك والأحاديث التي اتفق على صحتها جمهور المحدثين سلفا وخلفا، وبالله التوفيق.

عزاء واجب

تتقدم جمعية أنصار السنة المحمدية، ومجلس إدارتها، وأسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء لأسرة وذوي فضيلة الشيخ: محمود نور الدين -رحمه الله تعالى-: شقيق فضيلة الشيخ: محمد صفوت نور الدين-رحمه الله تعالى- الرئيس العام الأسبق للجمعية، سائلين الله -عز وجل- أنْ يغفر له وأن يرحمه، وأن يعفُو عنه، وأن يكرم نُزُله، وأن يوسّع مُدخله، وأن يغسله بالماء والثلج والبرد، وأن ينقّيه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وأن يُبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأن يدخله الجنة، وأن يعيذه من عذاب النار.

المذهب المادّي والتشكيك في الوحي

إعداد **د. أحمد منصور سبالك**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فقد ظهر في العصر الحديث جماعة من الذين يدَّعُون الثقافة، عرفوا بأصحاب المذهب المادي، وادعوا أنه لا وجود إلا للواقع المحسوس، أي أن المعرفة عندهم لها قانون خاص يتعلق بالحواس فقط، وعليه فإن الإدراك عندهم ماديّ محسوس لا يمكن تجاوزه. فالحواس الخمس عندهم هي المصدر الوحيد للمعرفة، فلا يمكن تصور وجود فكرة ليس لها أصل حسي.

ومن المقرر أن الوحي حقيقته غيبية، ولهذا عندهم لا يثبت الوحي لقانونهم المادي المرتبط بِالحسي؟ فالإدراك الحسي عندهم لا يعلم طريقًا للغيب؛ لأن الغيب لا يتوقف على الحس.

ومن هنا أنكروا الوحي ولم يأخذوا به، ورفضوه، وهذا بالأخص لما عجزوا أن يكذبوا القرآن الكريم، وبظهور الشبهة فيه وعليه، بدأوا يبينوا أن هذا -أي القرآن- ما هو إلا افتراء على الله تعالى، ولم تثبت الدلالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، به وأنه لو ثبت الدلالة بذلك لصدقت نبوته عندهم واتبعوه.

ولقد صدق الحق تبارك وتعالى حينما قال: «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (الكهف:٥).

فقد ادعوا ذلك وغيره، بل ادعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم تقوّل القرآن من عند نفسه، ومنهم من ادعى أنه صلى الله عليه وسلم تعلمه من غيره وغير ذلك كثير.

والغاية من ذلك كله هي التشكيك في الوحي، ولهذا كان السبب في اضطراب الأقوال أن كل مجموعة منهم تكلمت بأمر مختلف عن الأخرى. والقرآن حكى ذلك عن المشركين الذين أرادوا التشكيك في القرآن، ولو اكتفينا بالآيات التي رد الله تعالى بها عليهم كان أكبر الرد عليهم ودحض هذه الشبهة التي أوردوها.

وزعم البعض أيضًا- الذين أنكروا الوحي، وأن رؤية الملك والتلقي عنه والسماع لصوته، لا حقيقة له في الواقع، وأن هذا كله في نفس النبي صلى الله عليه وسلم، وقد توهَّم بذلك لتشوقه النبوة، فهذا مجرد وهم غلب على عقله صلى الله عليه وسلم، وحواسه، حتى اعتقد ما ليس موجودًا، أو ما ليس حقيقة.

وقد تولى كبر هذه الفرية أولئك المستشرقون الذين كذبوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فادعوا زورًا وكذبًا وبهتانًا أن النبي صلى الله عليه وسلم شديد الطلب للنبوة، وكان يسعى إليها جاهدًا ليتحصل عليها، وما كان تعبُّده في غار حراء إلا انتظارًا لهذه النبوة المزعومة -على حد تعبيرهم-، وبالتالي أنكروا لقاء جبريل عليه السلام في الغار، ولم ينزل عليه وحي كما قال.

هذا رغم أن من نظر في حاله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، واعتزاله الناس آنذاك لما كانوا عليه من الشرك والمنكرات التي كانوا يفعلونها مع عدم وجود

أثر لأهل الكتاب في بيئته الأولى بمكة، وما كان يتناقله الناس والقصاصون والعرافون آنذاك من أنه سيبعث نبيّ قد بشر به السابقون-الأنبياء-، هذا ما جعل محمد يتطلع ويتشوق للنبوة.

والحقائق التاريخية الثابتة تؤكد غير ذلك تمامًا، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم متطلعًا للنبوة قبل بعثته، وانما عزلته كانت لصفاء فطرته التي حرسها الله تعالى استعدادًا للنبوة والبعثة ولقاء الملك لأخذ الوحي.

فلو سلمنا جدلا أن هذا الكلام صحيح، فيلزم منه أن يقع فيه الأنبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فرفضوا ذلك فيمن قبله صلى الله عليه وسلم، وادعوه زورًا وبهتانًا عليه صلى الله عليه وسلم، وقالوا بالتفريق بين نبينا المصطفى، وبين سائر الأنبياء من قبله، رغم أنهم قالوا بالتفريق ولم يبينوا حقيقة الفرق هذا، لأنهم لن يجدوا إلى ذلك سبيلا، بل وجدنا غير واحد من المؤرخين كالإمام ابن حجر في شرحه للبخاري والإمام النووي في شرحه لمسلم، والعلامة ابن هشام في السيرة وغيرهم كثير أن: التحنث كان أمرًا معهودًا عند قريش، وأن عبد المطلب بن هاشم كان يتحنث في غار حراء، فلم يكن تفردًا تفرد به النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يقال عنه: إنه فعل لينتظر النبوة.

حتى وجدنا جملة الإمام ابن حجر عن هذا وهي: «كأنه مما بقي عندهم من أمور الشرع سنة الاعتكاف». اهـ.

وذكر ابن إسحاق في سيرته أيضًا: «ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية». اهـ.

وغيرها من النقول التي يطول المقام في ذكرها، والتي تزعم أن التحنث كان لابتغاء النبوة، وما هذا إلا دعوى إيحاء نفسي ادعاها محمد زورًا وبهتانًا. حاشاه صلى الله عليه وسلم.

وما هذا التفسير النفسي للوحي عندهم إلا لأن تكون النبوة نتيجة جهد بشري ذهب إليها محمد فأخذها، لا أن تكون أمرًا مصطفى من الله ومختارًا لكي يوحى إليه، مصداقا لقوله تعالى: «وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ» (الشعراء: ١٩٢- ١٩٤). الآيات.

وبهذا تكون النبوة عندهم مكتسبة حسب قدرات وآليات المكتسب لها، وأشهر من تكلم بذلك من الفلاسفة الفارابي وابن سينا المسمون بـ: فلاسفة التصوف الإشراقي، حيث ادعوا أن الوحي معرفة استشراقية يستلزم أن يكون الوحي مكتسبًا، أي معرفة مكتسبة تحصل لمن طلبها.

وقد تأثر بهذا المذهب كثير ممن بعدهم، فقال: بأن النبوة أو الوحي مكتسب، ونشر هذا المذهب من بعدهم إمام فلاسفة التصوف الإشراقي السهروردي، تبنى هذه الفكرة وزاد فيها حتى تكلم في الذات الإلهية بكلام لا يليق-يمكن مراجعته في كتابه هياكل النور-، وليس المقام مقامًا لذكره.

هذا كله رغم ادعائهم أن العقل أساس الاكتساب للمعرفة، والعقل يُفضي إلى أنه ليس كل مَن ادَّعى النبوة يكون نبيًا بمجرد دعواه، بل ممكن يكون متنبئًا كاذبًا، فالنبي الصادق هو من تؤيد نبوته الأدلة القاطعة على ذلك، لا لمجرد دعواه يصدق.

وهذا يتعارض مع من يقول بأن تصديق الأنبياء لا يكون بالأدلة العقلية بل يكون بالتسليم التام لما جاء به، أما الوحي وما يتعلق به فمجاله التسليم المحض، وهذا ينطبق على المفهوم الغربي للوحي، الذي يرى أن التسليم ببعض العقائد ناقض للضرورة العقلية. والأمثلة من عقائدهم أكثر من أن تُحصى، فلا يمكن التسليم بها إلا مع عدم اعتبار دلالة العقل بل بطلانها.

ومن ثَمَّ أصبح عندهم مفهوم الإيمان هو التسليم بلا دليل، وأنه لا يصح أن تستدل لكن تؤمن، وانما يكون الإيمان أولا وإن ناقض العقل وصريحه.

ورغم ذلك طلبوا من نبينا صلى الله عليه وسلم الدليل حتى يتم الإيمان به، فلا نؤمن به لمجرد أنه ادعى النبوة، وطلبوا ما لم يطلبوه من الأنبياء السابقين.

ثم لما عرضوا بمثل هذا بدأ بعضهم يشكك بأمر آخر، وهو أنه يمكن أن يبلغ النبي بما ليس بوحي، وأنه لا تلازم بين التسليم بأصل النبوة، والتسليم بكل ما جاء فيها، وقالوا: إنه يجوز أن يكون الوحي في لحظة ما...، وكلامًا كثيرًا غير هذا مما ينكره ما جاء في بشارات كتبهم التي يؤمنون بها، والذي يلزم من تصديق هذه الكتب تصديق ما جاء فيها، وهذا ما يستقيم فيه العقل وينادي به، أما أن نؤمن بالكتب ولا نؤمن بما فيها فهذا لا يستقيم مع العقل أبدًا.

هذا وسنتكلم عن الأسس العقلية التي يبنى عليها هذا الكلام في مقالنا القادم بإذن الله تعالى، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تحذير الأمة من غلاة التجريح ودعاة الفتنة

إعداد **معاوية محمد هيكل**

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، لا سيما عبده المصطفى، وآله المستكملين الشرفا.

وبعد: فقد روى البخاري في "صحيحه" (٦٠٥٦)، ومسلم في "صحيحه" (١٠٥)، من حديث حذيفة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ".

وعند مسلم بلفظ: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ".

قال في النهاية: القتات هو النمام. (قَتَّ) الحديث يَقُتُّه: إذا زَوَّره وهيَّأه وسَوَّاه.. انتهى.

قال الأمير الصنعاني: النميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض للإفساد بينهم. (سبل السلام ٢/٦٧٧).

وقال الحكيم الترمذي: "فالنميمة: أن ينمَّ على أخيه المسلم إلى مسلم آخر ما يوحشه به عنده؛ فهذا أفسد ما أصلح الله، وعمد إلى الوصلة التي وصلهم الله بها؛ فحل عقدها حتى تولدت عداوة وبغضة بينهم؛ فهذا فعل؛ يؤدي إلى فساد عظيم؛ ويفضي إلى الشرور كلها؛ ولذلك قال عليه السلام: لا يدخل الجنة قتَّات؛ لأنه جنديُّ الشيطان وجاسوسه" (المنهيات: ص٩٦).

وقال سليمان بن داود: "إياك والنميمة؛ فإنها مثل حدِّ السيف" (الزهد لهناد بن السري ٢/٥٧٥).

وقال عطاء بن السائب: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط يقول: "لا يسكن مكة: سافك دم؛ ولا آكل الربا؛ ولا مشاء بنميم". قال: فعجبت منه حين عدل النميمة بسفك الدم وأكل الربا! فقال الشعبي: وما تعجبُ من ذلك؟ وهل تسفك الدماء وتستحل المحارمُ إلا بالنميمة؟! (الزهد لوكيع: ٧٦٣).

فهذا حالُ من نقل كلامًا وصدق في نقله؛ وإنما فسدتْ نيته؛ فكيف بمن نقل كذبًا؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال في مؤمنٍ ما ليس فيه؛ حبس في ردغة الخبال حتى يأتيَ بالمخرج مما قال" (السلسلة الصحيحة: ٤٣٧). وردغة الخبال: هي عُصارة أهل النار كما ثبت في حديث آخر (انظر صحيح الجامع: ٦٣١٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ شرار عباد الله من هذه الأمة: المشاؤون بالنميمة: المفرِّقون بين الأحبة: الباغون للبرآء العنت" (السلسلة

الصحيحة: ٢٨٤٩).

قال الأمير الصنعاني في تفسير العنت: الذين يبغونهم ما شقّ عليهم ممّا هُم برآء منه. (التنوير شرح الجامع الصغير: ٥/٥٣١).

وقال الخطابي: "وإذا كان الناقل لما يسمعه آثمًا؛ فالكاذبُ القائل ما لم يسمعه أشدّ إثمًا وأسوأ حالاً" (معالم السنن: ٤/١٢١).

وقد توعّد ربّنا أهلَ الغيبة والنميمة بشديد العقاب فقال تعالى: «ويلٌ لكل همزة لمزة»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم: المشاؤون بالنميمة؛ المفرّقون بين الأحبة: الباغون أكبرَ العيب. وقال مجاهد: الهمزة: الطعّان؛ واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس. (تفسير الطبري: ٢٤/٥٩٦).

ونهى الله عن الاعتداء على الناس بغير حق. وأبغض المعتدين: فقال سبحانه تعالى: ﴿ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبُّ المعتدين﴾. قال الحافظ ابن جرير: وليس لأحد أن يتعدّى حدّ الله تعالى في شيء من الأشياء مما أحلّ أو حرّم: فمَن تعدّاه فهو داخل في جملة مَن قال تعالى ذكرُه: «إنّ الله لا يحبّ المعتدين» (تفسير الطبري ١٠/٥٢٢).

والواجبُ إبعاد النمّامين وعدمُ السّماع لهم وإنْ صدقوا. قال الماوردي: "فاتّقوا السّاعي: فإنه إنْ كان في سعايته صادقًا: كان في صدقه آثمًا؛ إذ لم يحفظ الحرمة ويستر العورة" (أدب الدنيا والدين: ٢٦٨).

والواجب: الدفاعُ عن أعراض المسلمين من إفساد أهل النميمة. قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة: كان حقًا على الله أن يُعتقه من النار" وفي رواية: "كان له حجابًا من النار" (صحيح الجامع ٦٢٤٠، ٦٢٦٣).

ومعلومٌ لدى العقلاء أنّ النمام ما أراد إصلاحًا ولا قصد نصرَ حقّ على باطل... إنما الإفساد بين الناس لامتلاء قلبه بغضًا وحسدًا لعباد الله. قال صلى الله عليه وسلم: "دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء: هي الحالقة: حالقة الدين لا حالقة الشعر" (صحيح الجامع: ٣٣٦١).

وقال بعضهم: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق. (شرح مشكاة المصابيح للطيبي ١٠/٣١١٥).

فاتركوا كل نمام حاسد حاقد: ليموت في كمده؛ وليعض أنامله من الغيظ؛ فليس لنا إليه سبيل؛ لأنه نكبة على دعوة الإسلام؛ فنستعيذ بالله من شرّه؛ وندعو الله له بالهداية والشفاء.

قال السمرقندي: "فإنّ النمام ذليلٌ في الدنيا: وهو في عذاب القبر بعد موته؛ وهو في النار يوم القيامة آيس من رحمة الله تعالى؛ فإن تاب قبل موته: تاب الله عليه" (تنبيه الغافلين: ١٧١).

غلاة التجريح دعاة النميمة.. علامات بارزة وسلوكيات مرفوضة

صنف غريب من البشر ذاع في الناس وانتشر، وسرى في كيان الأمة مسرى الحمى في الجسد، وكان لسلوكه السيئ في الأمة بالغ الخطر والأثر، صنف تستّر بأصل الذبّ عن السنة وأهلها؛ وأطلق لسانه بالغيبة والنميمة: والطعن في عباد الله وعلماء الأمة خاصة بغير برهان ولا حُجّة... فهؤلاء هم المتعالمون المتفيقهون ممَن تشبّع بما لم يُعطَ؛ فاحذروا وحذروا منهم فإنهم فاسدون مفسدون!

وتجد من أبرز علاماتهم التي فضحوا أنفسهم بها:

١- ثقل العلم الشرعيّ على نفوسهم فتجدهم عند التحقيق أبعد الناس عنه: فلا أفلحوا في حفظ نصوص الشريعة: ولا في فهم معانيها؛ إنما حالهم كحال حاطب الليل ليس إلا! وتجد أن بينهم وبين العلم بونًا شاسعًا يصعبُ بسببه نقاشهم: ويعسرُ الوصول معهم إلى نقطة التقاء.

٢ - اشغال جل أوقاتهم وإشغالُ من حولهم بباب "الجرح والتعديل" وما يتعلق به: فمع كونهم لا يحسنوه وليسوا من أهله؛ ويتناقضون فيه تناقض الضدين...: فقد ظنّوا أنفسهم حماةَ للشريعة ورعاةً لأبنائها.

ورحم الله الحافظ ابن حجر حيث يقول: "وإذا تكلّم المرءُ في غير فنه: أتى بهذه العجائب" (فتح الباري ٣/٥٨٤).

وكان الواجبُ عليهم الاشتغال بما يناسبُ حالهم، والإقبال على طلب العلم وتزكية نفوسهم بالعبادة والذكر.. وأمّا الجرحُ والتعديل: فهو علم شريف يقوم به الشرفاء من أهل العلم والدين.

٣- تجد أغلب سهامهم موجهة إلى أهل السنة والجماعة دون غيرهم! فيتتبّعون عوراتهم وزلاتهم: وينشرونها بين الناس باسم الدفاع عن السّنة! في الوقت الذي تراهم يسكتُون عن خطايا مَن كان موافقًا لهم في طعوناتهم! فأي سلوك أقبح من هذا، وإلى أي منهج ينتمي هذا الصنف من البشر؟!

٤ - يُنزّلون نصوص تحذير علماء السلف والخلف

من أهل الأهواء على مَن ليس بمستحقّها من أهل السنة! فجمعوا بين الجهل بمذهب السلف؛ والحماقة في تطبيقه؛ والظلم لمن طبّقوه عليه! وغير ذلك من الصفات الوضيعة؛ التي تأباها النفوسُ الشريفة وتنفرُ منها القلوبُ السليمة.

احذروا (المنشقين) دعاة التجريح وإثارة الفتنة بين المسلمين

قال العلامة الشيخ بكر أبوزيد رحمه الله في كتابه "تصنيف الناس بين الظن واليقين" ص (١٤):

"وفي عصرنا الحاضر يأخذ الدور في هذه الفتنة دورته في مسلاخ من المنتسبين إلى السنة متلفعين بمرط ينسبونه إلى السلفية -ظلمًا لها- فنصبوا أنفسهم لرمي الدعاة بالتُهم الفاجرة، المبنية على الحجج الواهية، واشتغلوا بضلالة التصنيف. وهذا بلاء عريض، وفتنة مضلة في تقليص ظل الدين، وتشتيت جماعته، وزرع البغضاء بينهم، وإسقاط حملته من أعين الرعية، وما هنالك من العناد، وجحد الحق تارة، ورده أخرى.

وصدق الأئمة الهداة: "إن رمي العلماء بالنقائص، وتصنيفهم البائس من البينات، فتح باب الزندقة" انتهى.

وقال أيضًا في ص (٢٠): "لكن بلية لا لعًا لها، وفتنة وقى الله شرها حين سرت في عصرنا - ظاهرة الشغب هذه إلى من شاء الله من المنتسبين إلى السنة، ودعوى نصرتها، فاتخذوا -التصنيف بالتجريح- دينًا وديدنًا، فصاروا إلبًا على أقرانهم من أهل السنة، وحربًا على رؤوسهم، وعظمائهم، يلحقونهم الأوصاف المرذولة، وينبذونهم بالألقاب المستشنعة المهزولة، حتى بلغت بهم الحال أن فاهوا بقولتهم عن إخوانهم في الاعتقاد، والسنة، والأثر: "هم أضر من اليهود والنصارى" و"فلان زنديق"؟" انتهى.

الموقف الشرعي من انشقاق هؤلاء بظاهرة التجريح

يقول الشيخ رحمه الله في المصدر نفسه (ص٤٥):

"وإن سألت عن الموقف الشرعي من انشقاق هؤلاء بظاهرة التجريح، فأقول:

أ - احذر هذا الانشقاق لا تقع في مثله مع "المنشقين الجراحين" المبذرين للوقت والجهد والنشاط في قيل وقال، وكثرة السؤال عن "تصنيف العباد"، وذلك فيما انشقوا فيه، فهو ذنب تلبسوا به، وبلوى وقعوا فيها، وادع لهم بالعافية.

ب - إذا بُليت بالذين يأتون في مجالسهم هذا المنكر " تصنيف الناس بغير حق" واللهث وراءه، فبادر بإنفاذ أمر الله في مثل من قال الله فيهم: « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (الأنعام: ٦٨)" انتهى.

الطعن في العلماء طعن في الشريعة الغراء:

إن المسيء إلى علماء الأمة والطاعن عليهم بغيًا وعدوًا قد ركب متن الشطط، ووقع في أقبح الغلط؛ لأنه بطعنه في العلماء قد طعن في الدين فهم حملة العلم وورثته.. وهم أئمة الأنام وحصن الإسلام الذين حفظوا على الأمة معاقد الدين ومعاقله، وحموا من التغيير والتكدير موارده ومناهله، الذين قال فيهم الإمام أحمد رحمه الله: "يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى، وَيُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ الْعَمَى، فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ وَمَا أَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، يَنْفُونَ عَنْ كِتَابِ اللهِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ" (اللالكائي: ٩/١).

إن الجناية على العلماء خرق في الدين، ولعظم الجناية عليهم صار من المعقود في أصول الاعتقاد، "ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل".

قال الإمام الطحاوي الحنفي في عقيدته: "وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذْكَرُون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل".

وقال الحافظ ابن عساكر الدمشقي في "تبيين كذب المفتري" ص٢٨: " واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته: أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيمٌ، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنشر العلم خلقٌ ذميمٌ".

وقال ابن المبارك: "مَنْ استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته.." (سير أعلام النبلاء: ٤٠٨/٨).

وقال أبو سنان الأسدي: "إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس؛ متى يفلح؟!" (ترتيب المدارك: ١٤/٢).

وقال الإمام أحمد بن الأذرعي: "الوقيعة في أهل

العلم ولا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب" (الرد الوافر: ص:١٩٧).

رفع الملام عن الأئمة الأعلام والتماس الأعذار لعلمائنا الأخيار

قال الإمام السبكي -رحمه الله-: "فإذا كان الرجل ثقة مشهودًا له بالإيمان والاستقامة، فلا ينبغي أن يحمل كلامه وألفاظ كتاباته على غير ما تعود منه ومن أمثاله، بل ينبغي التأويل الصالح، وحسن الظن الواجب به وبأمثاله" (قاعدة في الجرح والتعديل ص: ٩٣).

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: "والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما: أعظم الباطل، ويريد بها الآخر: محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه، ويناظر عنه" (مدارج السالكين ٣/٥٢١).

وأسند البخاري في كتاب الشروط من (صحيحه) قصة الحديبية ومسير النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وفيها: "وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلق، ولكن حبسها حابس الفيل".. إلخ الحديث.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فقه الحديث: "جواز الحكم على الشيء بما عُرف من عادته، وإن جاز أن يطرأ غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها، لا يُنسب إليها، ويُرد على من نسبه إليها، ومعذرة من نسبه إليها ممن لا يعرف صورة حاله؛ لأن خلأ القصواء لولا خارق العادة لكان ما ظنه الصحابة صحيحًا، ولم يعاتبهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك لعذرهم في ظنهم" اهـ. (فتح الباري: ٥/٣٣٥).

قال الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله: "فقد أعذر النبي صلى الله عليه وسلم غير المكلف من الدواب باستصحاب الأصل، ومن قياس الأولى إذا رأينا عالمًا عاملاً، ثم وقعت منه هنة أو هفوة، فهو أولى بالإعذار، وعدم نسبته إليها والتشنيع عليه بها -استصحابًا للأصل- وغمر ما بدر منه في بحر علمه وفضله، وإلا كان المعنّف قاطعًا للطريق ردءًا للنفس اللوامة، وسببًا في حرمان العالم من علمه، وقد نهينا أن يكون أحدنا عونًا للشيطان على أخيه" اهـ. (تصنيف الناس: ص:٨٠).

ثم نقل قول الصنعاني رحمه الله تعالى: "وليس أحد من أفراد العلماء إلا وله نادرة ينبغي أن تغمر في جنب فضله وتجتنب" اهـ.

وفي الختام أوجه رسالة هادئة إلى كل من يتطاول على علماء الأمة تجريحًا وتبديعًا وظلمًا فأقول: قبل كل شيء.. أذكرك ونفسي بقول الله: « وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ » (البقرة: ٢٨١)". أهل السنة وسط في باب (الجرح): فلا يؤمنون بحصانة (الأدعياء)، ولا يعتدون على (الأبرياء).

إن علماء (الجرح والتعديل) لم ينالوا هذه المنزلة العالية بظلم العباد ونشر الأحقاد.. لا والله.. بل بتقوى الله.

قبل قيامك بعملية جراحية لقلوب العباد لتعرف المدسوس والمميّع، والمنكوس والمُضيّع.. قم بفحص قلبك أولاً.. لعله هو من يحتاج إلى جراحة.

قبل أن تحمل مشرطك الآثم يجب عليك أن تفرق بين: شخص (ضَلّ) وشخص (زَلّ) لا يستويان وصفةً وعلاجًا.

إن العبث بالأعراض من أخطر الأمراض التي فرّقت السلفيين وأسعدت المخالفين.

كثيرٌ من المحبين للسنّة: نجحوا في (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ)، وفشلوا في (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ).

حين تكون النتيجة: (تمزيق جسد أهل السنة)؛ فاكسر مشرطك الواهم وتوقف؛ لأن عمليتك الجراحية قد فشلت.

وأخيرًا: أقول بكل أسف وأسى: من يرضى أن ينشأ جيل ويتربى من شباب الأمة جُل همه واهتمامه الوقيعة في العلماء، والتشغيب عليهم، والحط من أقدارهم والانصراف عن فضائلهم، فلا هُم تعلموا العلم الشرعي ولا هُم تأدبوا بالخُلق الإسلامي.. ولا حول لا قوة إلا بالله.

نسأل الله أن يثبّتنا وإياكم علي صراطه المستقيم، وأن يجنّبنا كل خُلق ذميم، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين.

ويل للمطففين

(١)

إعداد **د. ياسر لمعي عبد المنعم**

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
المساعد جامعة غينيا العالمية

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المشهور عند الجميع أن التطفيف في الميزان بيعًا وشراءً فقط وذلك فهمًا من قوله تعالى: « وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ (٤) لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ (٥) يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ » (المطففين: ١ - ٦).

نعم هذا من معانيها فهذه الست الآيات التي افتتحت بها سورة المطففين قد بينت حكم التطفيف، وصوره، وجزاء المطففين، وذلك لأن ديننا الإسلامي الحنيف يحارب المادية والأنانية بكل معانيها، ويربي في المسلم السمو والبُعد عن الدنية، والعدل في كل شيء؛ لذا أمرنا بالوفاء في الكيل إذا بعنا لأحد أو اشترينا منه، وأمرنا بالعدل والقسطاس المستقيم في معاملتنا كلها؛ لأنَّ في ذلك خيرًا للبشرية، وأحسن عاقبة له.

لذا قال السعدي رحمه الله: "دلت الآية الكريمة على أنَّ الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له، يجب عليه أن يُعطيهم كلَّ ما لَهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا: الحجج والمقالات، فإنه كما أنَّ المتناظرين قد جرت العادة أنَّ كل واحد منهما يحرص على ما له من الحجج، فيجب عليه أيضًا أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصُّبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير". اهـ.

أما التطفيف بعمومه فليس خاصًا بالكيل والوزن والمقاييس فقط، بل هو عامٌّ يدخل فيه كل بخس، سواء كان بخسًا حسيًا أو معنويًا، كالبخس في العبادة والاتباع والحقوق والواجبات.. فهناك صور كثيرة للبخس والتطفيف في العبادة؛ فهذا عبد يقف زاهيًا شامخًا أمام الله ويكرر في جميع صلواته «إياك نعبد وإياك نستعين»، ثم تراه في عبادته وحياته اليومية لا يعبد ربه حق العبادة ولا يستعين بالله حق الاستعانة ولا يؤدي ما عليه

من واجبات فهو مطفف أيضًا.

فمن حديث مُعاذ بن جبل رضي الله عنه المتفق عليه قال: "كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار، يُقال له: عُفير، قال: فقال: يا مُعاذ، تدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله، ولا يُشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئًا، قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس، قال: لا تبشرهم فيتكلوا" (صحيح مسلم: ٣٠).

عبد لا يستشعر عند قراءته للفاتحة رد الله عليه في آيات الفاتحة فهو عبد مطفف، فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه بصحيح مسلم قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: قال الله تعالى: " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين»، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: «الرحمن الرحيم»، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: «مالك يوم الدين»، قال: مجدني عبدي، وقال مرة فوض إلي عبدي، فإذا قال: «إياك نعبد وإياك نستعين» قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: «اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل" (صحيح مسلم ٣٩٥).

والمطففون موجودون في كل مجتمع وفي كل زمان، روى الإمام مالك، عن يحيى بن سعيد، أن عمر بن الخطاب انصرف من صلاة العصر فلقي رجلا لم يشهد العصر، فقال عمر: ما حبسك عن صلاة العصر؟ فذكر له الرجل عذرًا، فقال عمر: طففت (من كتاب أحكام السوق لأبي زكريا يحيي ابن عمر).

قال يحيى: "قال مالك، ويقال: لكل شيء وفاء وتطفيف" (من كتاب أحكام القرآن، لابن العربي)، ولذلك قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «الصلاة مكيال، فمن وفى وفي له، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين»، فكل من لم يتقن عمله فعلاً وحضورًا فهو مطفف فيه.

فالمطفف مخالف لأمر الله، وواقع في مجال غضب الله عليه إن لم يرتدع، وإن لم يتب، وافتتاح السورة بقوله تعالى: «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ» (لمطففين/١)دليل على شدة غضب الله على المطففين.

وهناك صور كثيرة في الصيام: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: "رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر" (صحيح الجامع: ٣٤٩٠).

في هذا الحديث يخبر أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع"، وهذا محمول على من صام ولم يخلص النية فهو مطفف، أو لم يتجنب قول الزور والكذب والبهتان والغيبة ونحوها من المناهي فهو مطفف: فيحصل له الجوع والعطش، ولا يحصل له الثواب، أو هو الذي يفطر على الحرام ولا يحفظ جوارحه عن الآثام فهو مطفف. "ورب قائم"، أي: متهجد بالصلاة في الليل، "ليس له من قيامه إلا السهر"؛ وذلك لسوء نيته فهو مطفف أو غصب منزل صلاته، أو نحو ذلك، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم الجوع والعطش والتعب والسهر حظه من عمله كالتهكم: كأنهما أجره ومطلوبه، وفيه زجر عن إتعاب الإنسان بدنه واجاعته وإعطاشه مع عمل لا أجر له فيه، والمراد به المبالغة، والنفي محمول على نفي الكمال، أو المراد به المرائي: فإنه ليس له ثواب أصلاً وعد عند العلماء من المطففين.

كذلك هناك مطفف في الحج إما بخلاً أو اختصارًا أو بحثًا عن رخصة فعن أبي هريرة أيضًا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه" (صحيح مسلم ١٣٥٠).

قول صلى الله عليه وسلم: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه فلم يرفث يعني لم يجامع ولم يأت بالكلام السيئ لأنه إن فعل ذلك طفف في المعاملة، ولم يفسق يعني لم يصر على المعاصي بل حج تائبًا نادمًا غير مطفف فلا معصية له رجع كيوم ولدته أمه، وهذا فيه فضل الحج وأنه يكفر السيئات ويحط الخطايا لمن لم يصر على المعاصي أو التطفيف في العبادة، بل ابتعد عن الرفث والفسوق، ولهذا في اللفظ الآخر قال صلى الله عليه وسلم: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" (صحيح البخاري ١٧٧٣)، والمبرور السليم من المعاصي مع طيب النفقة وحلها.

وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى، هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الأمة الإسلامية تحتاج إلى قيام النهار

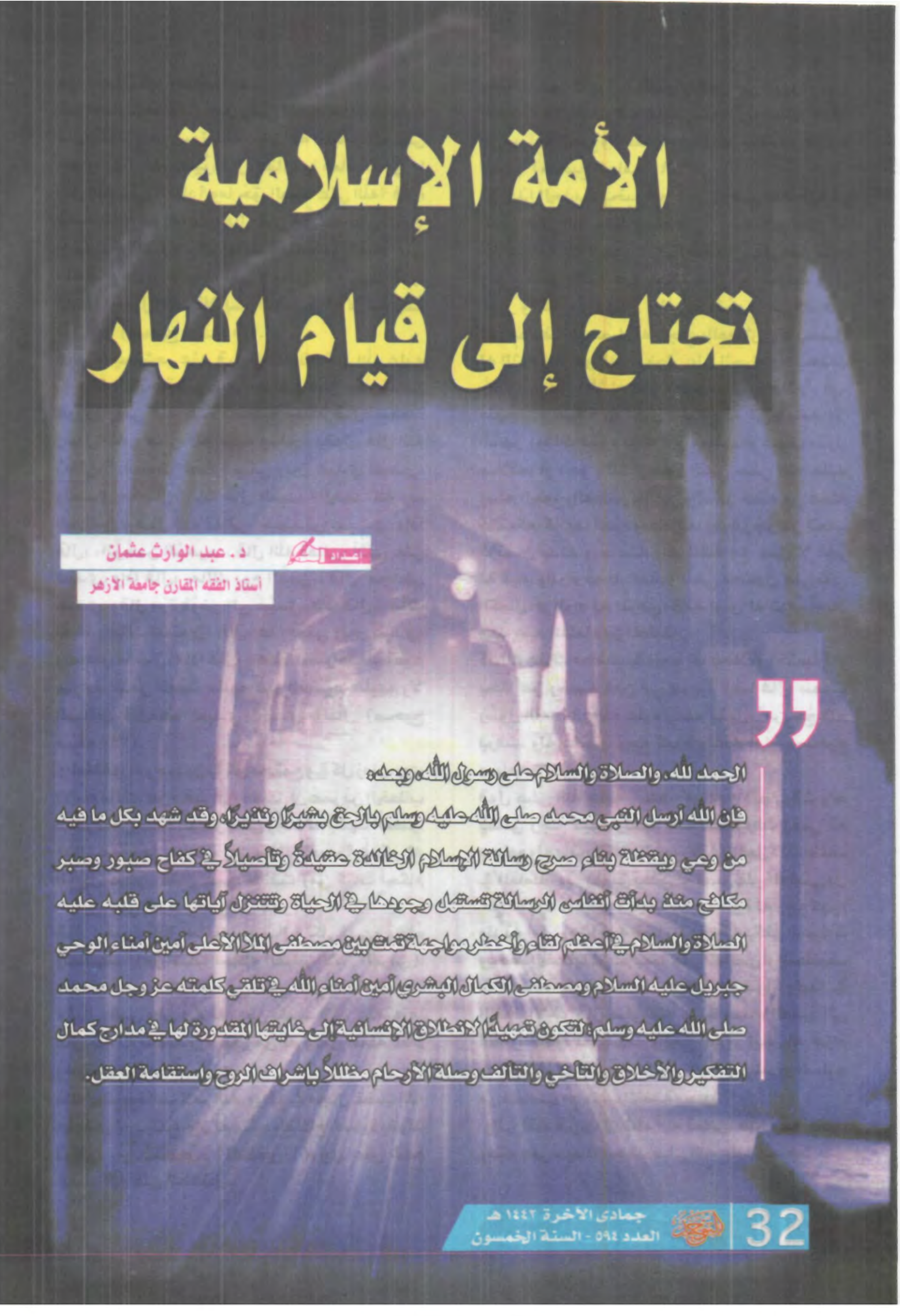

إعداد **د. عبد الوارث عثمان**

أستاذ الفقه المقارن جامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله أرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرًا ونذيرًا، وقد شهد بكل ما فيه من وعي ويقظة بناء صرح رسالة الإسلام الخالدة عقيدةً وتأصيلاً في كفاح صبور وصبر مكافح منذ بدأت أنفاس الرسالة تستهل وجودها في الحياة وتتنزل آياتها على قلبه عليه الصلاة والسلام في أعظم لقاء وأخطر مواجهة تمت بين مصطفى الملأ الأعلى أمين أمناء الوحي جبريل عليه السلام ومصطفى الكمال البشري أمين أمناء الله في تلقي كلمته عز وجل محمد صلى الله عليه وسلم؛ لتكون تمهيدًا لانطلاق الإنسانية إلى غايتها المقدورة لها في مدارج كمال التفكير والأخلاق والتآخي والتآلف وصلة الأرحام مظللاً بإشراف الروح واستقامة العقل.

ولما اكتمل البناء العقدي لهذه الرسالة الخاتمة ورسخت دعائمه وتضافرت دلائله وبراهينه وتظاهرت آياته تهاوت في سفحه الوثنيات المتهالكة، تلفظ آخر أنفاسها وقامت منائر التوحيد تعلن جلال الله تعالى وكبرياءه ساحقة سامية مشرقة مضيئة تنادي الشرك بوثنياته مستصرخا جنده جند الشيطان في بأس بليد وتدبير حازم أثيم وعناد جحود توهما من ذوي الرؤوس الخاوية والبطون المكتظة أن يصدروا بنفخ أهوائهم تيار الايمان بالحق، وهو يجري في محيط الحياة مزمجرا كاسحا أوصال الوثنيات البليدة شامخا بعز نبيه الأشم باذخا بفضله؛ فضلوا وأضلوا وتوهموا، واتمروا وتجمعوا ليبلغوا أربا صورة الحق الكفور.

وكان رب محمد صلى الله عليه وسلم لهم بالمرصاد؛ فأبلغه مكرهم وكيد تدبيرهم وحاطه بعنايته وتولاه برعايته حتى أبلغه مأمنه وآواه إلى كنفه، وأحاطه بمعيته حتى أخرج الناس بإذن ربه من الظلمات إلى النور، وبين لهم الحلال والحرام والحسن والقبيح والخير والشر، ووضح شريعة ربه وما تحويه من العبادات والطهارات والمعاملات والحدود والأخلاق والمواريث، وما تنتظم به أمور الدين والدنيا في توازن محكم ودقيق، ودلهم على طريق الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل، وحذرهم من النار وما يبعد عنها من قول أو عمل، وأرسى دعائم الدولة وأركانها وبيّن شكلها ونظامها وطريقة حكمها وواجبات وحقوق أفرادها، ولم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية قاطبة.

> تقع مسؤولية تبليغ الرسالة على عاتق كل مسلم ومسلمة في حدود الطاقة والملَكة والإمكانية وبأساليب شتّى ومتنوعة.

وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وضع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على عواتقهم مسؤولية تبليغ الرسالة الإسلامية العالمية الكاملة التامة ومن بعدهم سلفنا الصالح، وخرجوا بها من جزيرة العرب، فما من مكان سمعوا به إلا غرسوا فيه مبادئ الإسلام، وأقاموا عليه مجتمعات مختلفة الألوان والألسنة تربط بينهم جميعا كلمة التوحيد وأنوار الشريعة، فعلوا ذلك بعقلانية وسائلهم في تبليغ الرسالة التي أمروا بتبليغها لأقوام لم يجمعهم بهم سابق معرفة ولكن العقلانية المبنية على المرجعية الأساسية للمسلمين كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، مهّدت لهم الطريق لفتح القلوب قبل الأماكن وإقناع العقول قبل استلال السيوف وإمتاع النفوس البشرية بما فُطرَتْ عليه من حبّ الإيمان بالله والعمل الصالح، وهذه العقلانية الدعوية نحتاج إليها في وقتنا الحاضر حيث تقع مسؤولية تبليغ الرسالة على عاتق كل مسلم ومسلمة في حدود الطاقة والملَكة والإمكانية وبأساليب شتّى ومتنوعة أهمها العمل بمبادئها وهداياتها مرورا بالإلمام بما لا يسع المسلم تركه في العقيدة والتعبد والأخلاق، وتكون الدعوة إلى الله تعالى فردية وجماعية منضبطة بضابط الشرع الحنيف.

وأعني بالعقلانية الدعوية مراعاة الداعية لنفسية المدعوين وقدرتهم على استيعاب ما يُلقَى على أسماعهم واضعا في اعتباره ظروف الزمان والمكان والإلمام بواقع المدعو وبيئته؛ فعمل الداعية المسلم مع الناس استمالة قلوبهم وإقناع عقولهم، فلا يبلغ إلا بدليل، ولا ينطق إلا بحجة، ولا يدعو إلا إلى ما يعلمه من الدين ولا يقحم نفسه في كل موضوع، وعليه أن يقوم النهار كما يقوم الليل لتبليغ كلمة الله إلى الناس.

في القرآن سورتان متشابهتان: في القرآن الكريم سورتان متشابهتان ومتجاورتان في الزمان والمكان، هما سورة المزمل وسورة المدثر فأما تشابههما فحسبنا منه التشابه اللفظي والمعنوي في الاسم المأخوذ من نداء الافتتاح لكل منهما: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)، (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، وكذلك ابتداء كل منهما بالأمر بالقيام. وأما تجاورهما في الزمان فهو نزولهما متتابعتين أو متقاربتين ضمن أول ما نزل من القرآن الكريم، وأما تجاورهما المكاني فأعني به تتابعهما في ترتيب السور بكتاب الله تعالى، مع أن كثيرًا من سور القرآن وآياته تتابعت عند النزول وتباعدت عند الترتيب.

ما أريد الوقوف عنده في أمر السورتين الكريمتين هو الأمر بالقيام الوارد في مطلع كل منهما: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا) (المزمل: ١-٢)، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ) (المدثر: ١-٢): أمران بلفظ واحد، لكن في اتجاهين مختلفين، أما الأمر الأول: (قُم اللَّيْل)؛ فقد أصبح له شأن وذكر في الدين والتدين، وفي التعبد والتقرب، وفي التربية والتزكية، وأصبح له اسمه الخاص به الدال عليه بلا غموض ولا التباس، وهو "قيام الليل". وأما الأمر الثاني: (قُمْ فَأَنْذِرْ) فلم يحظ بشيء مما حظي به الأمر الأول، ولذلك فهو قصدي في هذا الموضوع.

> قيام النهار هو الدعوة بكل صيغها وما تتطلبه من مجاهدة ومكابدة وتحمل فادح الأذى.

لقد كان المفترض بالنظر إلى سورة "المدثر" ومطلعها، ومقارنتها مع شقيقتها سورة "المزمل" ومطلعها أن نتحدث عن "قيام النهار" مثلما نتحدث عن "قيام الليل"، وإذا كان مضمون قيام الليل هو الصلاة والذكر والتلاوة: (قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا (٣) أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا) (المزمل: ٢-٥)؛ فإن قيام النهار هو الدعوة بكل صيغها وما تتطلبه من مجاهدة ومكابدة وتحمل فادح الأذى وعظيم البلاء (قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ) (المدثر: ٢-٧)، وسورة المزمل التي جاءت بقيام الليل هي نفسها لم تلبث أن وجهت الأنظار إلى قيام النهار قبل أن تصرح به شقيقتها "المزمل". فبعد قوله تعالى تنويها بقيام الليل وأهميته: (إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا)، أضاف عز وجل: (إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا) (المزمل: ٦-٧).

قال العلامة ابن عاشور يوضح مغزى هذه اللفتة القرآنية: "فيتحصل من المعنى: قم الليل، لأن قيامه أشد وقعًا وأرسخ قولاً، ولأن النهار زمن فيه شغل عظيم لا يترك لك خلوة بنفسك، وشغل النبي صلى الله عليه وسلم في النهار بالدعوة إلى الله وابلاغ القرآن وتعليم الدين ومحاجة المشركين وافتقاد المؤمنين المستضعفين فعبر عن جميع ذلك بالسبح الطويل" (التحرير والتنوير ج ٩٢، ص ٤٦٢).

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشغل جزءًا من ليله في قيام الليل فقد كان يشغل عامة نهاره بقيام النهار، وفي مواجهة المتاوئين له المتكتلين ضده: (وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا (١٩) قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا) (الجن: ١٩-٢٠).

وإذا كان قيام الليل له ما له من عظيم الفضل وجليل الأثر في التربية والتزكية؛ فإن حكمه في الدين يبقى في حدود الندب والترغيب، ويبقى مجاله الزمني في حدود جزء من الليل يزيد أو ينقص أما "قيام النهار" بما أنه هو دعوة وتبليغ ومجاهدة ومكابدة ومجادلة ومجالدة يتضمن عددا من الفرائض والواجبات فضلا

عن مندوباته ومستحباته؛ لذلك فهو ألزم وآكد، ولذلك كان زمانه والقيام به سبحا طويلا.

إننا اليوم وفي هذه الأيام بالذات بحاجة إلى إحياء قيام النهار واستعادة مكانته وفاعليته. إننا بحاجة إلى قيام الدعوة مثلما نحن بحاجة إلى قيام الدعاء. إننا بحاجة إلى الأعمال المكونة لقيام النهار: (قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر: ٢-٧)، مثلما نحن بحاجة إلى الأعمال المكونة لقيام الليل (الركوع - السجود- التلاوة - الذكر- الدعاء)؛ بل الأعمال الأولى هي أوجب في الشرع وآكد في الواقع.

وعمق العقلانية لدى الدعاة إلى الله تعالى سواء كانوا من المتخصصين في الدعوة الإسلامية وعلومها أو الذين يبلغون رسالة الإسلام الخالدة بحكم الانتماء إليها انتماء المسلم الواعي اليقظ الفاهم لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية هو الذي يجعل الأمة الإسلامية في حاضرها قادرة على عرض حقائق الإسلام عرضا جادًا يزيل ما ران على قلوب وعقول البشرية الغربية وغيرهم، من كره للإسلام وشريعته بعد التشويه المتعمد لمصادره وأعلامه وشيوخه كالامام "البخاري" الذي أقام الحجج النقلية الصحيحة وشيخ الإسلام ابن تيمية الذي أقام الحجج العقلية؛ فكانا رحمهما الله من أكثر العلماء تعرضًا للطعن والتشويه من قبل أعداء الإسلام اليوم.

وعمق العقلانية الدعوية للأمة الإسلامية تحفظ تماسكها وترابطها وتمنح الدعاة فرصة للتأمل والنظر وفهم ما تعلموه من العقيدة والفقه، وهما من علوم الداعية في تبليغ رسالة الإسلام الخاتمة؛ فالعقيدة الإسلامية على أهميتها بسيطة ومحدودة المسائل خلافا للفقه الإسلامي الذي يصاحب المكلف في نفسه وعبادته وكل شؤون حياته. ولتشعب وتضخم مسائل الفقه كانت المذاهب الفقهية لضبطها وتنظيم شؤون الاجتهاد والافتاء والقضاء فيها، وهذه المذاهب يعرفها العامة والخاصة ويلتزمون بها، لتعاملهم اليومي معها.

ولوضوح مسائل العقيدة عند عامة المسلمين، كانت المذاهب العقدية فيها مذاهب علمية في مسائل دقيقة لا يدركها عامة الناس في الغالب الأعم، ولذلك لم تكن معروفة مشهورة عندهم، فهي خاصة بالعلماء منهم يتدارسونها ويتداولونها فيما بينهم ويوظفونها فيما ارتبط بها من مسائلهم.

ولذلك لو سألت العوام أو حتى الكثير من طلبة العلم عن مذهبي الأشعرية والماتريدية مثلا، لا تجد لسؤالك في الغالب جوابا صحيحا دقيقا، لكن للمذهبين وجود عند جماهير العلماء، ويظهر في مؤلفاتهم التي يؤلفونها في مختلف العلوم أو في المؤلفات التي يتعهدونها أثناء طلبهم للعلم، كما نجدها في مدارسهم ومعاهدهم وجامعتهم العريقة كالأزهر والزيتونة والقرويين وغيرها. لكن في زماننا ظهر من يشغل الناس بهذه المسائل الدقيقة التي لا يستوعبها عامتهم، ويشوش بها عليهم بل ويبني ولاء وبراء على ما ليس معلومًا ضرورة، بل ولا يدرك حقيقته إلا خاصة الخاصة. والحقيقة أنه من الصعب قبول نسبة عامة الناس إلى غير إسلامهم المعهود فلا يقال عن هؤلاء أشاعرة وأولئك ماتريدية، وهم لا يعلمون شيئا عما يوصفون به، وإن ساغ القول بأن هؤلاء شافعية أو مالكية مثلا لما ذكرناه.

صحيح أن بعض المسلمين (من أهل القبلة) أظهروا خلافا عن عامتهم في بعض المسلمات كالاعتقاد في الصحابة رضي الله عنهم، وتميزوا عنهم بوضوح فظهر انحرافهم بذلك وسهل إدراكه عندهم، فتميزوا بألقاب اختصوا بها عن سواد الأمة الأعظم كفرق الشيعة والخوارج. وعمق العقلانية لدى الدعاة ضرورية لمنع الاصطدام بصخر في بحر متلاطم الأمواج.

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

شتان بين جزاء الطائعين والعاصين

يقول الله تعالى: « لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ » (الرعد: ١٨).

من الطب النبوي

عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيرُ ما تداوَيْتُم به الحِجامةُ والقُسْطُ البَحريُّ" (أخرجه مسلم: ١٥٧٧).

من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض آجال أصحابه

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "يَعِيشُ هذا الغُلامُ قَرْنًا" فَعاشَ مِائةَ سَنَةٍ.

(السلسلة الصحيحة ٢٦٦٠).

حكم ومواعظ

عن وهب بن منبه، قال: قال رجل من العُبَّاد لابنه: «يا بُنَيَّ!، لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عملٍ، ويؤخر التوبة بطول الأمل»

(التوبة لابن أبي الدنيا).

من حكمة الشعر

في فضل جمع العلم عن جمع المال

قد يجمع المرءُ مالاً ثم يُسلَبه .. عمّا قليل، فيلقى الذلّ والحربا

وجامع العلم مغبوطٌ به أبدًا ... فلا يُحاذر منه الفوت والطلبا

إعداد: علاء خضر

من فضائل الصحابة: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ فَقُلتُمْ: كَذَبْتَ، وقالَ أبو بَكْرٍ: صَدَقَ، وواسانِي بنَفْسِهِ ومالِهِ، فَهلْ أنتُمْ تارِكُوا لي صاحِبِي" (صحيح البخاري ٣٦٦١).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

كراهية ورود المريض على الصحيح

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ" (صحيح البخاري ٥٧٧١)

ومعنى: "لا يُورَدُ مُمرِضٌ على مُصحٍّ"، أي: لا يُؤتَى بمريضٍ على صَحيحٍ سَليمٍ؛ مخافَةَ أن يُعديَه.

من جوامع أدعية النبي صلى الله عليه وسلم

عن أبي لبابة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان إذا أراد دخولَ قريةٍ لم يدخُلها حتَّى يقول: اللَّهمَّ ربَّ السَّماواتِ السَّبعِ وما أظلَّتْ، وربَّ الأرضين وما أقلَّتْ، وربَّ الرِّياحِ وما أذْرَتْ، وربَّ الشياطينِ وما أضلَّتْ، إنِّي أسألُك خيرَها وخيرَ ما فيها، وأعوذُ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها" (السلسلة الصحيحة ٢٧٥٩).

من فقه اللغة

الفرق بين التكليف والتحميل: التحميل لا يكون إلا لما يُستثقَل؛ ولهذا قال تعالى (لا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا)، والإِصر الثقل. والتكليف قد يكون لما لا ثقَل له نحو الاستغفار، تقول: كلَّفه الله الاستغفار، ولا تقول حمَّله ذلك.

(الفروق للعسكري).

من أقوال السلف

الله تعالى في السماء وعلمه في كل مكان

عن معدان قال: سألت سفيان الثوري عن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ (الحديد: ٤) قال: علمه. (رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد).

وقال السعدي: "وهذه المعية معية العلم والاطلاع، ولهذا توعَّد ووعد على المجازاة بالأعمال بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾"

(تفسير السعدي: ص٨٣٨).

أثر السياق في فهم النص

(١٣٠)

حجاب المرأة المسلمة

(٤٠)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وبعد:

ما زال الحديث متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

ولقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، وبدأت في أدلة السنة، ووصلت إلى الحديث الخامس عشر.

الحديث الخامس عشر:

عن سَهل بن سعد رَضي اللَّه عنه، يقول: جاءَت امْرَأَةٌ إلى رَسول اللَّه ﷺ، فقالَتْ: يا رَسول اللَّهِ، جِئْتُ أَهَبُ لكَ نَفْسي، قال: فَنَظَرَ إلَيْها رَسولُ اللَّه ﷺ فَصَعَّدَ النَّظَرَ فيها وصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَسولُ اللَّه ﷺ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَتِ المَرْأَةُ أنَّه لَمْ يَقْضِ فيها شيئًا جَلَسَتْ، فَقامَ رَجُلٌ مِن أَصْحابِهِ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنْ لَمْ يَكُنْ لكَ بها حاجَةٌ فَزَوِّجْنِيها.. (صحيح البخاري: ٥٠٨٧).

القرائن حول الحديث:

١- "فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعَّد النظر إليها وصوَّبه". استدل من قال بجواز كشف الوجه من نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المرأة (الواهبة)، فقال ابن بطال: "وإذا ثبت أن النظر إلى وجه المرأة لخطبتها حلال، خرج بذلك حكمه من حكم العورة؛ لأننا رأينا ما هو عورة لا يُباح لمن أراد نكاحها النظر إليه.. (كشعرها وصدرها، وغير ذلك)، فلما ثبت أن النظر إلى وجهها حلال لمن أراد نكاحها ثبت أنه حلال أيضًا لمن لم يُرد نكاحها، إذا كان لا يقصد بنظره ذلك إلى معنى هو عليه حرام. (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٧/٢٣٩).

والحافظ ابن حجر ذهب إلى أن جواز النظر إلى المؤمنات الأجنبيات من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم لعصمته. (انظر فتح الباري ٩/٢١٠).

٢- هل كانت قصة الواهبة قبل الحجاب أم بعده؟ يقول ابن العربي: "يحتمل أن ذلك قبل الحجاب أو بعده لكنها كانت متلففة. وعلق الحافظ ابن

حجر على ما ذهب إليه ابن العربي قائلاً: وسياق الحديث يبعد ما قال (انظر فتح الباري ٩/٢١٠).

قلت: يبعد أنها كانت متلفقة (أي تغطي وجهها)، وإلا فكيف صوّب النبي صلى الله عليه وسلم النظر إليها.

٣- هل كان كشفها عن وجهها من أجل خطبتها؟ يقول الشيخ أبو مصعب فريد الهنداوي: الحديث ورد عليه عدة احتمالات: -(باختصار) أ-... فيحتمل أنها كشفت عن وجهها (الواهبة) لينظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم حال هذه الواقعة فقط، فلا وجه للاستدلال بالحديث على جواز السفور من كل أحد.

قلت: صدر الشيخ كلامه بالاحتمال، مما يعني أنه لم يقف على دليل أو استدلال قوي واضح من الحديث. ثم قوله: "أنها كشفت عن وجهها لينظر إليها حال هذه الواقعة فقط"؛ يرد عليه أن النزاع ليس في جواز كشف وجهها لمن أراد خطبتها؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر بالنظر إلى المرأة قبل خطبتها في عدة أحاديث.

وأيضًا: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد خطبتها حتى تكشف له عن وجهها؟

فمحل النزاع هو: كيف تكشف وجهها -إن كانت منتقبة- أمام قوم من الصحابة في المسجد كما ورد في الحديث. فلو كانت تغطي وجهها (منتقبة) فإن ذلك لا يجوز لها؛ لأن النظر مقصور على من أراد النكاح فقط. فمن ناحية الاستدلال من الحديث؛ فإن ترجيح أنها كانت مكشوفة الوجه أقوى من الاستدلال بالحديث على تغطيته.

يقول الشيخ الألباني: "..النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قد خطبها، وإنما هي عرضت نفسها عليه كما هو صريح الحديث، وكان ذلك في المسجد.. وعلى مرأى ومسمع من سهل بن سعد راويه (راوي الحديث) والقوم الذين كان فيهم. (انظر الرد المفحم ١/٤٤-٤٥).

٤- هل كانت هذه القصة قبل نزول آيات الحجاب؟ قلت: إن آية الواهبة في سورة الأحزاب، فهل كان نزول آية الواهبة قبل نزول آيات الحجاب أو بعدها، خاصة مع تعدد أسماء الواهبات أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الحديث السادس عشر:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "إنْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ ليُصلي الصُّبحَ، فينْصرفُ النِّساءُ مُتلفِّعاتٍ بمُرُوطِهنَّ، ما يُعْرفْنَ منَ الغلسِ" (صحيح البخاري: ٨٦٧). وفي رواية: "ثُمَّ يرْجِعْنَ إلى بُيُوتِهنَّ ما يعْرِفُهُنَّ أحدٌ" (صحيح البخاري: ٣٧٢). وفي رواية: "فيَنْصرِفْنَ نساءُ المؤْمنينَ لا يُعْرفْنَ منَ الغلسِ -أوْ لا يعْرِفُ بعْضُهُنَّ بعْضًا-" (صحيح البخاري: ٨٧٣). وفي رواية " ثُمَّ ينْقلِبْنَ إلى بُيُوتِهِنَّ، وما يُعْرفْنَ من تغْليسِ رسولِ اللهِ ﷺ بالصلاةِ" (صحيح مسلم ٦٤٥). وفي رواية: "لقد رأيتنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر في مُروطنا، وننصرف وما يعرف بعضنا وجوه بعض" (مسند أبي يعلى ح ٤٤٩٣، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح، وقال الألباني: سنده صحيح، السلسلة الصحيحة ح ٣٣٢). (الغلس هو وقت اختلاط ضوء الصبح بظلمة الليل).

القرائن حول الحديث:

١- "ما يُعْرفْنَ من الغلس": يحتمل أمرين: أحدهما: لا يُعْرف أرجالٌ هن أم نساء من شدة الغلس.... الثاني: لا يعرفن أعيانهن من هن من النساء من شدة الغلس، وإن عرف أنهن نساء، إلا أن هذا الوجه يقتضي أنهن سافرات (كاشفات) عن وجوههن. ولو كن غير سافرات (كاشفات الوجوه) لمنع النقاب وتغطية الوجه من معرفتهن لا الغلس (انظر قول الباجي في المنتقى شرح الموطأ ١/٩).

لكن يرد على ذلك أن المتلعفة (لو حملنا التلفع على تغطية الوجه) لا يعرف عينها في النهار أيضًا (انظر شرح النووي على مسلم ٥/١٤٤)، ورجح العيني أن عدم معرفتهن، يعني عدم معرفة أرجال أو صبيان أو نساء أو بنات (انظر

شرح سنن أبي داوود للعيني ٢/٢٩٣). وكذلك القاري رجح عدم معرفتهن أنساء هن أم رجال، وإنما يظهر للرائي الأشباح خاصة (انظر عمدة القاري ٤/ ٩٠).

وذهب التويجري إلى أن الحديث دليل على أن نساء الصحابة كن يغطين وجوههن، وأنهن من شدة مبالغتهن في التستر وتغطية الوجوه لا يعرف بعضهن بعضًا، ولو كن يكشفن وجوههن لعرف بعضهن بعضًا (انظر الصارم المشهور صـ ٨٦).

وقد ذهب الألباني إلى أن الحديث دليل على جواز كشف الوجه، ووجه الاستدلال به هو قولها: لا يعرفن من الغلس، فإن مفهومه أنه لولا الغلس لعرفن، وإنما يعرفن عادة من وجوههن وهي مكشوفة.. وقد ذكر هذا المعنى الشوكاني عن الباجي، ثم وجدت رواية صريحة في ذلك بلفظ: وما يعرف بعضنا وجوه بعض (انظر: جلباب المرأة المسلمة صـ ٦٥).

٢- ظنية الدلالة: الحديث ليس نصًا قطعيًا في النقاب أو عدمه (بدون رواية أبي يعلى للحديث)- وجماهير العلماء استدلوا بالحديث على وقت صلاة الصبح- ولأنه ظني الدلالة فهو يحتمل ما ذهب إليه الفريقان المستدلان به، الفريق الذي ذهب إلى تغطية الوجه، والفريق الذي ذهب إلى كشفه.

٣- "وما يعرف بعضنا وجوه بعض"، وهذا من رواية أبي يعلى للحديث في مسنده، وهذه الرواية وإن كانت حددت أن عدم المعرفة يتعلق بالوجوه وليس بالأعيان. لكنها لا تقطع بأن كشف الوجه جائز، لماذا؟ لأن المرأة إذا أمنت أن لا يراها أحد في ظلام الليل قد تكشف وجهها مستترة بالظلام، خاصة مع عدم وجود مصابيح بالشوارع، ومع علمنا أن الصحابة كانوا يمكثون بعد الصلاة في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتخلوا شوارع المدينة من الرجال.

الحديث السابع عشر:

عن فاطمَةَ بنْت قَيْس رضي الله عنها، أنَّ أبا عَمْرو بنَ حَفْصٍ طلَّقَها البَتَّة، وَهو غائبٌ، فأرْسَلَ إلَيْها وَكيلُهُ بشَعيرٍ، فسَخطَتْهُ، فقَالَ: واللَّه ما لَكَ علَيْنا من شيء، فجاءَتْ رَسُولَ اللَّه ﷺ، فذكَرَتْ ذلك له، فقال: ليسَ لَكِ عليه نَفَقَةٌ، فأمَرَها أنْ تَعْتَدَّ في بَيْت أمِّ شَريك، ثُمَّ قال: تلْكَ امْرأةٌ يَغْشاها أصْحابي، اعْتَدِّي عنْد ابْن أمِّ مَكْتُوم، فإنَّه رَجُلٌ أعْمى تَضَعينَ ثيابَك.. (صحيح مسلم: ١٤٨٠).

وفي رواية "ثُمَّ أرْسَلَ إليْها: أنْ أُمَّ شَريك يأْتيها المُهاجرُونَ الأوَّلونَ، فانطَلقي إلى ابْنِ أُمِّ مَكْتُوم الأعْمى، فإنَّك إذا وَضَعْتِ خمارَك لمْ يَرَك، فانْطَلَقَتْ إليْه" (صحيح مسلم ١٤٨٠).

وفي رواية: ".. فإنِّي أكْرَهُ أنْ يَسْقُطَ عَنْك خمارُك، أوْ يَنْكَشفَ الثَّوْبُ عن سَاقَيْك، فيَرَى القَوْمُ منْك بَعْضَ ما تَكْرَهينَ ولَكن انْتَقلي إلى ابْن عَمِّك عبد الله بن عَمْرو ابْن أمِّ مَكْتُوم" (صحيح مسلم: ٢٩٤٢). و(أم شريك امرأة غَنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله عز وجل ينزل عليها الضيفان).

القرائن حول الحديث:

١- "إذا وضعت خمارك لم يرك"، استدل به الشيخ الألباني على أن الوجه ليس بعورة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر ابنة قيس على أن يراها الرجال وعليها الخمار وهو غطاء الرأس؛ فدل هذا على أن الوجه منها ليس بالواجب ستره كما يجب ستر رأسها (انظر جلباب المرأة المسلمة صـ ٦٦).

وأرى أن الاستدلال من ذكر وضع الخمار على أن الوجه يجوز كشفه وليس بعورة، فيه نظر، فأرى -والله أعلم- أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بقوله في الحديث التنبيه على بعض ما لا يجوز للمرأة إظهاره، وليس على سبيل الحصر، خاصة مع القرينة التالية.

٢- "أو ينكشف الثوب عن ساقيك"؛ فالحديث تنبيه للمرأة فقط على أنها لن تكون على راحتها إذا اعتدت عند أم شريك، وليس حصر ما يجوز وما لا يجوز للمرأة إظهاره. فاستدلال الفريقين من الحديث: القائل بجواز كشف الوجه والقائل بعدم جوازه، إنما هو غير مُسلم به لكل منهما.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الاستسلام للأقدارِ الغالبة والاستعداد للعواقب الغائبة

(١)

إعداد **د. عماد محمد علي عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ركوب مركب النجاة ضرورة:

إذا كانت النجاةُ غاية مسعى كلِ عاقل، ونهاية مطلب كلِ عامل، ودعوى يدعيها الجميعُ، على السواء العالم منهم والجاهل، والمتيقظ الحذر، وكذا الغافل؛ فإن الاستعداد لركوب مركب النجاة ضرورة لغياب العواقب، وتمام الجهل بالنهايات، وعدم المعرفة بالخواتيم، وقد أعيا الناس جميعًا حلُ رموز الأقدار؛ لأنّ الله تعالى اختصّ نفسه بتقديرها، وتفرّد سبحانه بالعلم بها دون من سواه وتدبيرها، وحجَبَ ما في العواقب من الأسرار ليبقى العمّال مُجدّين في الأعمال، ومُجتهدين في الإكثار من الصالحات، ومُجتنبين النقص منها والإقلال.

وهذه الغيوب لم يُطلع الله تعالى عليها أحدًا من خلقه، وإن كان الله سبحانه قد أطلعَ بعض رسله على بعض الغيب فقال: « عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ » (الجن: ٢٦- ٢٧).

والواجبُ على المسلم تفويض أمره لله، وتسليم قياده وعنانه لمولاه، والأخذ بالنظر في عواقب الأمور فإن ذلك يُوسّع المَدارك، ويلقّح الفُهوم، ويورثُ علمًا بالواقع، وتدبرًا للوقائع، ويُفيد المرء بأعظم الفوائد، ويعودُ عليه بأنعم

> **يأتي الإيمان بالقدر بردًا وسلامًا، ليُطمئن صاحبه من القلق، وفي تلك الأحايين ينزل عليها برد اليقين، فيشرح الصدور، ويرفع عنها اللبس، ويزيل منها الشكوك، ويجلوها من الوساوس، فتعود مرتاحة مطمئنة، تأنس بذكر الله.**

العوائد.

وبذلك يرجى للمرء النُّجح، والظفر بالبغية، وحصول المطلوب، وبلوغ المراد، وتحقيق الفضائل، وتحصيل المكارم، إذا ضمَّ إلى ما تقدم هذين الأمرين.

أولًا: الاستسلام للأقدار الغالبة:

لا بُدَّ من الإيمان بالقدر؛ لأنه ركنٌ ركينٌ من أركان الإيمان، كما في حديث جبريل "قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أنْ تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتُبه، ورُسُله، واليوم الآخر، وتُؤمِنَ بالقدر خيرِه وشرِّه" (رواه مسلم: ٨). ولا بد أن يكون معه التسليم والاستسلام فلا يثبت الإسلام إلا على قدم التسليم والاستسلام كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

وقال أيضًا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

وعنْ وَهْب بْن خالد، عَنْ ابْن الدَّيْلميِّ، قالَ: لقيتُ أبيَّ بْنَ كعْب، فقلْتُ: يا أبا المُنْذر، إنهُ قدْ وقَع في نفْسي شيْءٌ منْ هذا القدر، فحدِّثْني بشيْء، لعلهُ يذْهبُ منْ قلْبي. قال: "ولوْ أنْفقْتَ جبل أُحُد ذهبًا في سبيل الله، ما قبلهُ الله منْك حتى تؤْمن بالقدر، وتعْلم أنَّ ما أصابك لمْ يكنْ ليُخْطئك، وما أخْطأك لمْ يكنْ ليُصيبك، ولوْ متَّ على غيْر ذلك، لدخلْت النار" (أخرجه أبو داود ٤٦٩٩، وابن ماجه ٧٧، وصححه الألباني).

وقد قدرت مقاديرُ الخلائق وفرغ منها قبل خلق السماوات والأرض، عنْ عبْد الله بْن عمْرو بْن العاص، قال: سمعْتُ رسُول الله صلى الله عليْه وسلم، يقُول: " كتب الله مقادير الخلائق قبْل أنْ يخْلق السّماوات والأرْض بخمْسين ألف سنة، قال: وعرْشه على الماء" (رواه مسلم: ٢٦٥٣).

وسبحان الله مقدر الأقــدار، ومكور الليل والنهار، لقد شاع هذا الوباء، وفشا ذلك الداء العياء في الأقاليم، وانتشر في كل النواحي، وطرق أبواب الديار، مع كونه صغير الجرم، ضئيل الحجم؛ إلا أنه دوخ الدنيا بخيلها ورجلها، ورعيتها ورعاتها، وساستها وملوكها، وخافه الصغير والكبير، والرجل والمرأة، والقويّ والضعيف، والغنيّ والفقير.

ثمرة الإيمان بالقدر:

لقد رأينا فزع النّاس أجمعين، وعاينا خوفهم من انتشار الأوبئة والأمراض، وقد هجمت عليهم المخاوف، وتقاذفتهم الخطوب والمتالف، وكأنه قد حمي الوطيس على أولئك البؤساء، وصيرهم غرضًا للأوهام فصاروا في عداد التعساء، وبهذه الشكوك أحسُّوا بأنهم هدفٌ للمصائب، ونهبٌ للمتاعب، وعُرضة للمطالب.

وفي هذه الأثناء يأتي الإيمان بالقدر بردًا وسلامًا، ليُطمئن صاحبه من القلق، وفي تلك الأحايين ينزل عليها برد اليقين، فيشرح الصدور، ويرفع عنها اللبس، ويزيل منها الشكوك، ويجلوها من الوساوس، ويمحو منها الهواجس، فتعود مرتاحة مطمئنة، تأنس بذكر الله، وترتاح إلى سماع كلام الله، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ (الرعد: ٢٨ - ٢٩).

الاحتساب عند نزول البلاء وحلول المصاب:

ومن أعظم ثمرات الإيمان بالقدر: الاحتساب عند نزول البلاء وحلول المصاب. فعنْ أبي هريْرة: أنّ رسُول الله صلى الله عليه وسلّم قال: " يقول الله تعالى: ما لعبْدي المؤمن عنْدي جزاءٌ، إذا قبضْتُ صفيّه من أهل الدنيا ثمّ احْتسبه، إلا الجنّة" (رواه البخاري: ٦٤٢٤).

عن أبي هريرة، قال: قال رسُول الله صلى الله عليْه وسلم: «منْ يرد الله به خيْرًا يصبْ منْه» (رواه البخاري: ٥٦٤٥).

أما الذين لا يؤمنون بالقدر فهؤلاء انسلوا عن الدين، وتسلل لواذًا من قلوبهم اليقين، وصارت مذاهبهم مختلة القوانين، يابسة الأغصان والأفانين.

الإيمان بالقدر قوة وعزة:

إنَّ الإيمان بالقدر يُحوِّل صاحبَه إلى جبلٍ لا يهتز، ويحيله إلى طود شامخ فخور بإيمانه ومعتز، تزول الجبال الرواسي ولا يزول إيمانه، وبينما الناس حوله كأشجار متمايلة في وسط ريح عاصف، يخشى عليها السقوط، وربما يُخاف عليها أن تُجتث من فوق الأرض، ويذهب ما كان لها في الأرض من قرار، وحامل الإيمان بالقدر بين جوانحه، والمتلبس به كأنه ثيابٌ على جوارحه، يكون عصيًا على السُّقوط، قصيًا من التصدع، فهو كبيت قوي وقصر مشيد قائم على عمد راسخة، وقواعد ثابتة راسية.

الصبر بمنزلة رأس المال:

بهاتين الدرجتين وبتلكما المنزلتين - الصبر والرضا - يرجعُ المؤمن ظافرًا بهما بعد الإيمان بالقدر، وإذا كان الصبر واجبًا عند نزول المقادير، ولزامًا عند تحقق التقادير، فإنَّ الرضا مستحبٌّ عند حُلول الأمر المقدر، والبلاء الحتْم المقرَّر، فإذا صبر المرءُ على البلاء المقدور، لم يقنط ولم ييأس، ولم يغرَّه - أيضا - بالله الغرور.

عنْ أنس بْن مالك رضي الله عنْه، قال: سمعْتُ النَّبيَّ صلى الله عليْه وسلَّم يقُولُ: "إنَّ الله قال: إذا ابْتليْتُ عبْدي بحبيبتيْه فصبر، عوَّضْتُهُ منْهُما الجنَّة " يُريدُ: عيْنيْه. (رواه البخاري: ٥٦٥٣).

الرضا بمثابة الرِّبح الحلال:

وإذا علا فوق هذه المنزلة -منزلة الصبر-، وارتفع فوق تلك الدرجة نزل منزلة الرضا - التي هي بمنزلة الزيادة فوق الأصل -، واستراح في مُستراحها، وكان بالله تعالى راضيًا عاش عيشة الهنيء المقْرُور، ومضتْ حياته وهو في راحة وحُبُور، وقضى نحبه وهو ضاحك مسرور، ولله عاقبة الأمور.

> “الإيمان بالقَدر يُحوِّل صاحبَه إلى جبلٍ لا يهتز، ويحيلُه إلى طود شامخ فَخُور بإيمانه.”

وما أجمل الرضا في موقف أم سليم حينما قبض الصبي ثم جاء زوجها أبو طلحة فتعشى وأصابها ثم قالت: واروا الصبي، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهما بالبركة في ليلتهما فرزقا بغلام كان منه تسعة كلهم من حملة القرآن وأوعيته.

عنْ أنس بْن مالك رضي الله عنْهُ، قال: كان ابْنٌ لأبي طلْحة يشْتكي، فخرج أبُو طلْحة، فقُبض الصَّبيُّ، فلمَّا رجع أبُو طلْحة، قال: ما فعل ابْني، قالتْ أُمُّ سُليْمٍ: هُو أسْكنُ ما كان، فقرَّبتْ إليْه العشاء فتعشَّى، ثُمَّ أصاب منْها، فلمَّا فرغ قالتْ: واروا الصَّبيَّ، فلمَّا أصْبح أبُو طلْحة أتى رسُول الله صلى الله عليه وسلم فأخْبرهُ، فقال: «أعرسْتُمُ اللَّيْلة؟» قال: نعمْ، قال: «اللَّهُمَّ بارِكْ لهُما» فولدتْ غُلامًا. (رواه البخاري: ٥٤٧٠، ومسلم ٢١٤٤).

فاقد الإيمان بالقدر مُمتلئ بالضَّجر أينما ورد وحيثُما صدر:

من فقد الإيمان بالقدر غلب عليه الضيق والضجر، وشعر بحشرجة في الصدر كلما ورد وصدر، فتراه يتعثر ولا يُفيق من عثرته، ويكبو ولا يستقيل من كبوته، فهو كمن يمْشي مكبًّا على وجهه لا يكاد يواصل المسير، ولا يوشك أن يبلغ غايةً مثمرة مهما كان يخطو نحوها ويسير، وصدق الله حين قال: «أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (الملك: ٢٢).

أو كمن يمْشي وراء سراب بقيعة، ويجري خلف أذيال وضيعة، جاءته بكل فعلة شنيعة، ورمته بما يشينه من الوقيعة، وأصابته بأسقام الإيمان، وهي - لمن كان له قلبٌ حيٌّ- شديدة الوجيعة، وزخرفوا له القول غرورًا، وقالوا له بهتانًا وزورًا، حتى غشي من المنكر فجورًا.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

بدعة القول بعدم وقوع الطلاق الشفوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالقول بعدم صحة وقوع الطلاق الشفوي خرقٌ لإجماع الأمة العلميّ والعمليّ بعد خمسة عشر قرنًا من الزمان لم يقل به أحدٌ من علمائها قط، واشتراط عدم وقوع الطلاق الشفوي في عقد الزواج باطل.

علمًا بأن التوثيق الكتابي لعقدي الزواج والطلاق في مصر أمرٌ مستحدث في عهد الدولة العثمانية بمرسوم صدر سنة: ٩٢٧ للهجرة ١٥٢٠ للميلاد، وكان الهدف من توثيق عقدي الزواج والطلاق هو حفظ حقوق الزوجين والولد الناشئ بينهما.

ولم يكن الهدف من التوثيق الكتابي لعقد الزواج والطلاق الحكم بعدم صحة الزواج ولا الطلاق الشفوي، فهما واقعان بإجماع الأمة سلفًا وخلفًا إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع.

وما يهمنا هنا هو حكم الطلاق الشفوي الصريح، الموجّه لزوجة تزوجها زواجًا صحيحًا، فهو واقع بإجماع الأمة سلفًا وخلفًا، إذا وقع من: مسلم، بالغ، عاقل، قاصد للفظه، مختار غير مكره. فلا تفتقر صحة وقوع الطلاق إلى توثيق إجماعًا، وإنما التوثيق لحفظ الحقوق وضمانها عند خراب الذمم.

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

وقد دلَّ على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

أما أدلة الكتاب:

فقد قال تعالى: « وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (البقرة: ٢٢٧)، وقال سبحانه: « ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ » (البقرة: ٢٢٩)، وقال جل وعلا: « فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (البقرة: ٢٣٠)، وقال عز وجل: « وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا » (البقرة: ٢٣١)، وقال تبارك وتعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ » (الطلاق: ١)، وغيرها من محكم التنزيل فلم يشترط في

الكتاب توثيقًا كتابيًا قط.

وأما أدلة السنة فكثيرة منها:

حديث عائشة - رضي الله عنها -: أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منها. قالت: أعوذ بالله منك. قال: «لقد عُذت بعظيم، الحقي بأهلك». أخرجه البخاري (٥٢٥٤) فهذا الحديث من السنة الفعلية، وفيه من الأحكام:

١ - وقوع الطلاق الشفوي.

فلم يفتقر طلاقه صلى الله عليه وسلم لتوثيق كتابي، ولا إشهاد عليه.

٢ - جواز مواجهة الزوجة بالطلاق.

٣ - وقوع الطلاق بالكناية المفهمة مع النية.

حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت: «إن رفاعة القرظي تزوج امرأة ثم طلقها، فتزوجت آخر، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له أنه لا يأتيها، وأنه ليس معه إلا مثل هدبة. فقال: لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك». أخرجه البخاري في مواضع منها (٢٤٩٦)، (٥٣١٧)، ومسلم (١٤٣٣)، وأبو داود (٢٣٠٩)، والترمذي (١١١٨)، والنسائي (١٤٦/٦ و١٤٧).

فلم تذكر توثيقًا كتابيًا في الطلاق، وأقر النبي صلى الله عليه وسلم وقوع الطلاق.

وحديث فاطمة بنت قيس-رضي الله عنها-: «أن أبا عمرو بن حفص طلقها ألبتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فذكرت ذلك له، فقال: ليس لك عليه نفقة، فأمرها أن تعتدّ في بيت أم شريك، ثم قال: تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني، قالت: فلما حللت ذكرت له: أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد، فكرهته، ثم قال: انكحي أسامة، فنكحته، فجعل الله فيه خيرًا، واغتبطت». أخرجه مسلم (١٤٨٠)، وأبو داود رقم (٢٢٨٤) و(٢٢٨٥) و(٢٢٨٦) و(٢٢٨٧) و(٢٢٨٨) و(٢٢٨٩) و(٢٢٩٠) و(٢٢٩١)، والترمذي (١١٣٥)، (١١٨٠)، والنسائي (٧٤/٦).

> **التوثيق الكتابي لعقدي الزواج والطلاق في مصر أمرٌ مستحدث في عهد الدولة العثمانية بمرسوم صدر سنة: ٩٢٧ للهجرة ١٥٢٠ للميلاد.**

فلم تذكر توثيقًا كتابيًا وأقر النبي صلى الله عليه وسلم وقوع الطلاق.

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما-: «أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه منّي، فقال لها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: أنت أحق به ما لم تنكحي». أخرجه أبو داود (٢٢٧٦)، فلم تذكر توثيقًا كتابيًا وأقر النبي صلى الله عليه وسلم وقوع الطلاق.

وأما الإجماع:

- فقد قال ابن المنذر في كتابه: الإجماع (٦٤): «وأجمعوا: على أن جد الطلاق، وهزله سواء». وهو في الإشراف في "جماع أبواب الطلاق بمعاني مختلفة" (ص ١٩٤).

- وقال ابن حزم في مراتب الإجماع (ص٧١): «اتفقوا: أن طلاق المسلم، العاقل، البالغ الذي ليس سكران، ولا مكرهًا، ولا غضبان، ولا مكرهًا، ولا محجورًا، ولا مريضًا، لزوجته التي قد تزوجها زواجًا صحيحًا: جائز، إذا لفظ به بعد النكاح مختارًا له حينئذ، وأوقعه في وقت الطلاق، بلفظ من ألفاظ الطلاق، على سنة الطلاق: فإنه طلاق».

- وقال ابن القطان الفاسي في الإقناع في مسائل الإجماع (٣١/٢): "وأجمع كل من يحفظ عنه

من أهل العلم أن طلاق الجد، والهزل سواء. وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة».

وقال (٣١/٢): «ولا نعلم خلافًا أن من طلق، ولم يشهد أن الطلاق له لازم.

ذكر ما يقع في الطلاق من قول أو غيره:

واتفقوا على: أن ألفاظ الطلاق طلاق، وما تصرف من هجائه بما يفهم منه معناه، والبائن، والبتة، والخلية، والبرية، وأنه إن نوى بشيء من هذه الألفاظ طلقة واحدة سنية لزمته كما قدمنا.

واتفقوا: أنه إن أوقع هذه الألفاظ، أو بعضها بلفظه، مختارًا كما قلنا على المرأة نفسها، لا على نفسه، ولا على بعضها، ولا على غيرها، فإنها واقعة على الصفات التي قدمنا».

- وقال ابن بطال في شرح صحيح البخاري (٢٤٠/٦): «قال تعالى: «وإنْ يتفرَقا يُغنِ الله كُلًا منْ سَعَته»، وأجمعت الأمة أن التفرق في هذه الآية أن يقول لها: أنت طالق».

- وقال ابن قدامة في المغني (٣٩٧/٧): «صريح الطلاق لا يحتاج إلى نية، بل يقع من غير قصد، "ولا خلاف في ذلك"، ولأن ما يعتبر له القول يكتفي فيه به، من غير نية، إذا كان صريحًا فيه، كالبيع.

وسواء قصد المزح أو الجد؛ لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد النكاح، والطلاق، والرجعة» رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن.

قال ابن المنذر: "أجمع كل مَن أحفظ عنه من أهل العلم، على أن جد الطلاق، وهزله سواء».

- وقال ابن رشد الحفيد في بداية المجتهد (١١٥/٣): «أجمع المسلمون على أن الطلاق يقع إذا كان بنية، وبلفظ صريح».

صريح الطلاق لا يحتاج إلى نية، بل يقع من غير قصد، ولا خلاف في ذلك.

- وقال الشافعي في الأم (٨٩/٧): «فاحتمل أمر الله عز وجل بالإشهاد في الطلاق والرجعة ما احتمل أمره بالإشهاد في البيوع. ودل ما وصفت من أني لم ألق مخالفًا حفظت عنه من أهل العلم؛ أن حرامًا أن يطلق بغير بينة».

- وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٣/٣٣، ٣٤): «قال تعالى: «وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ» (الطلاق:٢): فأمر بالإشهاد على الرجعة والإشهاد عليها مأمور به باتفاق الأمة.

قيل: أمر إيجاب، وقيل أمر استحباب. وقد ظن بعض الناس: أن الإشهاد هو الطلاق وظن أن الطلاق الذي لا يشهد عليه لا يقع. "وهذا خلاف الإجماع"، و"خلاف الكتاب والسنة".

"ولم يقل أحد من العلماء المشهورين به"؛ فإن الطلاق أذن فيه أولًا، ولم يأمر فيه بالإشهاد، وإنما أمر بالإشهاد حين قال: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» (الطلاق: ٢)، والمراد هنا بالمفارقة: تخلية سبيلها إذا قضت العدة، وهذا ليس بطلاق، ولا برجعة، ولا نكاح.

والإشهاد في هذا باتفاق المسلمين، فعلم أن الإشهاد إنما هو على الرجعة».

- وقال الشوكاني (٣٠٠/٦): «ومن الأدلة على عدم الوجوب أنه قد وقع الإجماع على عدم وجوب الإشهاد في الطلاق».

وقال في السيل الجرار (٤٣٩/١): «وقد وقع الإجماع على عدم وجوب الإشهاد في الطلاق واتفقوا على الاستحباب».

فإذا كان هذا في الإشهاد فما بالك في أمر مستحدث في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي قصد منه حفظ الحقوق.

وقد خرج بيان لهيئة كبار العلماء بالأزهر للرد على بدعة القول بعدم وقوع الطلاق الشفوي

فكان مما جاء فيه:

"انطلاقًا من المسؤولية الشرعية للأزهر الشريف ومكانته في وجدان الأمة المصرية التي أكدها الدستور المصري، وأداءً للأمانة التي يحملها على عاتقه في الحفاظ على الإسلام وشريعته السمحة على مدى أكثر من ألف عام من الزمن؛ عقدت هيئة كبار العلماء عدة اجتماعات خلال الشهور الماضية لبحث عدد من القضايا الاجتماعية المعاصرة؛ ومنها حكم الطلاق الشفوي، وأثره الشرعي، وقد أعدت اللجان المختصة تقاريرها العلمية المختلفة، وقدمتها إلى مجلس هيئة كبار العلماء الذي انعقد اليوم الأحد ٨ من جمادى الأولى ١٤٣٨هـ الموافق ٥ من فبراير ٢٠١٧م، وانتهى الرأي في هذا المجلس بإجماع العلماء على اختلاف مذاهبهم وتخصصاتهم إلى القرارات الشرعية التالية:

أولاً: وقوع الطلاق الشفوي المستوفي أركانه وشروطه، والصادر من الزوج عن أهلية وإرادة واعية وبالألفاظ الشرعية الدالة على الطلاق، وهو ما استقر عليه المسلمون منذ عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- وحتى يوم الناس هذا، دون اشتراط إشهاد أو توثيق.

ثانيًا: على المطلق أن يُبادر في توثيق هذا الطلاق فور وقوعه؛ حفاظًا على حُقوق المطلقة وأبنائها، ومن حق ولي الأمر شرعًا أن يتخذ ما يلزم من إجراءات لسن تشريع يكفل توقيع عقوبة تعزيرية رادعة على من امتنع عن التوثيق أو ماطل فيه؛ لأن في ذلك إضرارًا بالمرأة وبحقوقها الشرعية.

هذا.. وترى هيئة كبار العلماء أن ظاهرة شيوع الطلاق لا يقضي عليها اشتراط الإشهاد أو التوثيق؛ لأن الزوج المستخف بأمر الطلاق لا يُعييه أن يذهب للمأذون أو القاضي لتوثيق طلاقه، علمًا بأن كافة إحصاءات الطلاق المعلن عنها هي حالات مُثبتة ومُوثقة سلفًا إما لدى المأذون أو أمام القاضي، وأن العلاج الصحيح لهذه الظاهرة يكون في رعاية الشباب وحمايتهم من المخدرات بكل أنواعها، وتثقيفهم عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة، والفن الهادف، والثقافة الرشيدة، والتعليم الجاد، والدعوة الدينية الجادة المبنية على تدريب الدعاة وتوعيتهم بفقه الأسرة وعظم شأنها في الإسلام؛ وذلك لتوجيه الناس نحو احترام ميثاق الزوجية الغليظ ورعاية الأبناء، وتثقيف المُقبلين على الزواج.

> تُناشد الهيئةُ جميعَ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الحذر من الفتاوى الشاذة التي يُنادي بها البعض، حتى لو كان بعضهم من المنتسبين للأزهر؛ لأن الأخذ بهذه الفتاوى الشاذة يُوقع المسلمين في الحرمة.

كما تناشد الهيئة جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الحذر من الفتاوى الشاذة التي يُنادي بها البعض، حتى لو كان بعضهم من المنتسبين للأزهر؛ لأن الأخذ بهذه الفتاوى الشاذة يُوقع المسلمين في الحرمة.

وتهيب الهيئة بكل مسلم ومسلمة التزام الفتاوى الصادرة عن هيئة كبار العلماء، والاستمساك بما استقرت عليه الأمة؛ صونًا للأسرة من الانزلاق إلى العيش الحرام.

وتُحذرُ الهيئة المسلمين كافةً من الاستهانة بأمر الطلاق، ومن التسرُّع في هدم الأسرة، وتشريد الأولاد، وتعريضهم للضياع وللأمراض الجسدية والنفسية والخُلقية، وأن يتذكر الزوج توجيه النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- أنَّ الطلاق أبغض الحلال عند الله، فإذا ما قرَّر الزوجان الطلاق، واستُنفدت كل طرق الإصلاح، وتحتَّم الفراق، فعلى الزوج أن يلتزم بعد طلاقه بالتوثيق أمام المأذون دون تراخ؛ حفظًا للحقوق، ومنعًا للظلم الذي قد يقعُ على المطلقة في مثل هذه الأحوال".

هذا ما يحتمله هذا المقام، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والله أعلم، وصلى الله على محمد وعلى آل وصحبه وسلم.

كتاب عربي علّم العالم

حياة الحيوان الكبرى

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد.

يعد كتاب حياة الحيوان الكبرى كتاب عجيب ، فيه فقه ، حيث يعد أقرب مرجع في معرفة ما يؤكل وما لا يؤكل من الحيوان، وكتاب لغة فهو يضبط الأسماء، وكتاب أدب فهو يسرد الأخبار، وكتاب طبيعة فهو يشير إلى بعض خصائص الحيوانات، وكتاب تاريخ فهو يلخص فيه مراحل طويلة من تاريخنا ، وكذلك يعد شاهداً على غناء المكتبة العربية وجمالها، وتنوعها المتفرد، وتأثيرها في حضارات الأمم الأخرى.

إعداد **محمد محمود فتحي**

حياة الحيوان الكبرى هو أشهر مؤلفات كمال الدين الدميري، وهي نسختان: صغرى، وكبرى، والمطبوعة هي الكبرى، وتمتاز عن الصغرى بإضافة المواد التاريخية وتفسير المنامات التي تقع فيها تلك الحيوانات. وتضم (١٠٦٩) مادة مرتبة على حروف المعجم، إلا أن هذا الرقم لا يعني عدد الحيوانات التي ترجم لها، إذ أن كثيراً من هذه المواد في حكم المترادف. فهو يترجم لكثير من الحيوانات في مواطن شتى، حسب تعدد أسمائها، أو اختصاص أولادها وإناثها بأسماء أخرى. وتتفاوت هذه التراجم في توضيحاتها، فبعضها يصل إلى (١١) صفحة، كالأسد، وبعضها: بضع كلمات. وتحتل الطيور والثدييات منزلة ممتازة في الكتاب. طبع الكتاب لأول مرة في بولاق ١٢٧٥هـ وهو أحد الكتب التي أمر السلطان سليم الأول بترجمتها إلى التركية حين فتح مصر، وقام بترجمته حكيم شاه محمد القزويني. وترجمه إلى الإنكليزية الكولونيل جايكار: أحد أساتذة كلية بمباي في الهند، وطبعت ترجمته في لندن (١٩٠٦ - ١٩٠٨م) وترجمه إلى الفرنسية سلفستر دي ساسي. قال السخاوي في (الضوء اللامع): (وهو كتاب نفيس، أجاده وأكثر فوائده.

كمال الدين الدميري

وُلدَ كمال الدين الدميري بمدينة القاهرة عام ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م)، وكان في أول أمره يعمل خياطا ثم غلبه حب العلم فثابر على تلقيه حتى برز فيه فأفتى ودرّس بالقاهرة، ثم انتقل إلى مكة للمجاورة والتدريس بها قبل أن يعود للقاهرة مرة أخرى.

تلقى الدميري علوم اللغة والفقه والحديث والأدب بالجامع الأزهر على مجموعة من كبار علماء عصره منهم الشيخ بهاء الدين السبكي، والشيخ جمال الدين الإسنوى، والكمال أبي الفضل النويري، وابن الملقن، والبلقيني، والبرهان القيراطي، والبهاء عقيل. وحين بلغ في معارفه مرتبة الأستاذية، واعترف له شيوخه بذلك، تحول إلى التدريس في الجامع الأزهر حيث كانت حلقة يلقى فيها الدروس على تلامذته يوم السبت، وفي القبة البيببرسية حيث كان يحاضر في علم الحديث، وفي مدرسة ابن البقري بباب النصر حيث كان يعظ الناس يوم الجمعة، و في جامع الظاهر بحي الحسينية حيث كان يلقي دروسه بعد عصر الجمعة.

ممن ذكروا أنهم تتلمذوا على يد كمال الدين الدميري ، العلامة تقي الدين الفارسي المحدث والمؤرخ، والشيخ شهاب الدين أبو العباس الأقفهسي الفقيه الشافعي. وقد ذكر العلامة المؤرخ تقي الدين المقريزي في عقوده أنه صاحب الدميري سنين، وارتاد مجلس وعظه لإعجابه به، وكان رحمه الله تقيا عابدًا خاشعا بكاءً.

وجمع بين السمت وحسن الهيئة و لطلف المعشر وحلو الحديث، و اشتهر بأنه خطيب مفوه جميل الإلقاء في سهولة ووضوح.

مؤلفاته

ألف كمال الدين الدميري العديد من الكتب في الفقه والحديث إلا أن من أهم وأشهر مؤلفاته كتاب حياة الحيوان الكبرى، ويعتبر هذا الكتاب مزيجًا من العلم والأدب والفلسفة والتاريخ والحديث . وقد تمت ترجمته إلى العديد من اللغات واقتبس منه العديد من الغربيين.

رتب الدميري في كتابه الذي يعد أول مرجع شامل في علم الحيوان باللغة العربية الكائنات التي كتب عنها ترتيبًا أبجديًا على طريقة المعجم وتناول بالبحث ١٠٦٩ كائنا موضحًا الصفات المميزة لكل كائن منها مما كان معروفًا في عهده وموضحًا أيضًا أسماء تلك الكائنات خلال مراحل نموها وكذلك أسماءها في مختلف الدول العربية وأحكام الشريعة لتلك الحيوانات ومنتجاتها، وبعض الأحاديث النبوية التي ذكرت فيها، وقد جمع مادته من ٥٦٠ كتاب و ١٩٩ ديوان شعر.

ويوجد لهذا الكتاب بعض المخطوطات في مكتبة برلين ومكتبة باريس.

قالوا عن الدميري

المستشرق جاكار Jacquard : لقد جاء كتاب (حياة الحيوان) للدميري نبعًا فياضًا من الحكمة الإسلامية والعربية، زاخرًا بقواعد الفقه والتشريع والأحاديث التبوية والفنون الأدبية والأمثال، تدفقت كلها من مناهل متعددة و مصادر مختلفة، و تجمعت كلها في صعيد واحد ينهل منها القارئ من المسلمين في العالم العربي فيضا لا ينضب مما يعوزه الإلمام به في شئونه الدينية و الدنيوية.

المستشرق لوكلير : إذا أسقط من الحساب ما ورد في كتاب الدميري من الخرافات والقصص وتراجم الأشخاص، فإن الكتاب يعد مجموعة فريدة قيمة من الحقائق المتصلة بتاريخ الحيوان.

محرر مقدمة كتاب (حياة الحيوان) في طبعة كتاب الجمهورية : ومما لا نزاع فيه أن كتاب (حياة الحيوان) للدميري قد عرف في أوروبا منذ زمن طويل، لطلاب اللغة العربية في الجامعات الأوروبية و غيرهم، و اشتهر في الأوساط العلمية هناك بأنه كتاب عظيم قيم. و لا نزاع كذلك في أن هذا الكتاب قد لعب دورا هاما في الثقافة الغربية فكثيرا ما اقتبس منه العلامة (لين) في معجمه العربي المشهور، كما اقتبس عنه (وشتنفلد)، وصفه وصفا دقيقا، كما استعان به العلامة (بوكارت) في مؤلفه المسمى (هيروزيكون)، كما أخذ عنه العلامة (هازل) بعض ما ورد عن مادة الجراد، نقلا عن مخطوط في كوبنهاغن. و قد أورد العلامة (سلفستردي ساسي) مقتطفات مطولة من كتاب حياة الحيوان للدميري، في كتابه (لاشاس دوبيين).

وإلى كتاب آخر نبحر من خلاله ونرسوا على شطآنه.

والحمد لله رب العالمين

آداب وأسرار بين الزوجين

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

وبعد:

تحدثنا في العدد السابق عن ليلة البناء ودخول الزوج بزوجته، وآداب الإفضاء بين الزوجين، والجنابة والغسل منها، وغير ذلك. وفي هذا العدد نكمل بقية الآداب وحُسن العشرة وحق الزوج على زوجته، وحقها عليه إن تيسر المقام، أو فيما بعد، فنقول وبالله التوفيق:

ستر الرجل ما بينه وبين امرأته:

بدخول الزوج على زوجته وخلوته بها صارت بينهما أسرار لم تكن بين أحد غير زوجين، وقد أوجب الله تعالى عليهما حفظ هذه الأسرار وعدم إفشاء شيء منها. فلا يجوز بحال أن يُحدث الرجل صديقه بما بينه وبين امرأته، فإنها من الجرائم، كما لا يجوز للمرأة أن تفعل ذلك أيضا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل منكم الرجل إذا أتى أهله، فأغلق عليه بابه، وألقى عليه ستره، واستتر بستر الله؟ قالوا: نعم. قال: ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا، فعلت كذا؟ قال: فسكتوا، قال: فأقبل على النساء فقال: هل منكن من تحدث؟ فسكتن فجثت فتاة على إحدى ركبتيها، وتطاولت لرسول الله صلي الله عليه وسلم ليراها ويسمع كلامها، فقالت: يا رسول الله، إنهم ليتحدثون، وإنهن ليتحدثنه، فقال: هل تدرون ما مثل ذلك؟ فقال: إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة، فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه، ألا وإن طيب الرجال ما ظهر ريحه، ولم يظهر لونه، ألا وإن طيب النساء ما ظهر لونه ولم يظهر ريحه، ألا لا يُفضين رجل إلى رجل، ولا امرأة إلى امرأة، إلا إلى ولد أو والد ". (سنن أبي داود ٢١٧٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٠٣٧).

إن ما بين الرجل وزوجته سر من أعظم الأسرار، وإفشاؤه من أشد الأخطار، ولا يفعل ذلك إلا شيطان!!

حيض المرأة أيام البناء:

قد يحدث مفاجأة عند البناء بأن يتعجل أوان حيض المرأة عن المقدر له، عنده فليحرص الزوج والزوجة من أن يكونا كالراعي حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، فيجتنب الرجل إتيان زوجته في أثناء الحيض، كما يجتنب أن يأتيها في الدبر.

قال الله تعالى:

" وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ". (البقرة/٢٢٢).

وتبين أم المؤمنين كيف كانت تتم المباشرة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبيم نسائه حال حيضهن فتقول:

"كَانَتْ إحْدانَا إذَا كَانَتْ حائضًا، فأرادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُباشِرَها " أمَرَها أنْ

تَتَّزِرَ في فَوْرِ حَيْضَتِهَا، ثُمَّ يُبَاشِرُهَا. قَالَتْ: وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ". صحيح مسلم والبخاري.

ومعنى (في فور حيضتها): معظمها ووقت كثرتها، (وأيكم يملك إربه): معناه عضوه الذي يستمتع به أي الفرج، وقيل: معناه حاجته وهي شهوة الجماع والمقصود: أملككم لنفسه فيأمن مع هذه المباشرة الوقوع في المحرم وهو مباشرة فرج الحائض.

والمعنى أنه كان إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أي يلصق بشرته ببشرتها. فالمباشرة التقاء البشرتين عمداً وليس المراد هنا الجماع، فأمرها بعقد إزار في وسطها يستر ما بين سرتها وركبتها كالسراويل ونحوه ثم يضاجعها ويمس بشرتها وتمس بشرته للأمن حينئذ من الوقوع في الوقاع المحرم.

وقال الحافظ ابن حجر: "وذهب كثير من السلف والثوري وأحمد واسحاق إلى أن الذي يمتنع من الاستمتاع بالحائض الفرج فقط. وبه قال محمد بن الحسن من الحنفية ورجَّحه الطحاوي وهو اختيار كثير من المالكية وأحد القولين أو الوجهين للشافعية، واختاره ابن المنذر وقال النووي: "هو الأرجح دليلاً؛ لحديث أنس في مسلم: "اصنعوا كل شيء إلا الجماع"، وحملوا حديث الباب وشبهه على الاستحباب جمعًا بين الأدلة". وقال ابن دقيق العيد: ليس في حديث الباب ما يقتضي منع ما تحت الإزار لأنه فعل مجرد. ا.هـ ويدل على الجواز أيضا ما رواه أبو داود بإسناد قوي عن عكرمة عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها ثوبًا. (فتح الباري ١/ ٤٠٤).

وكذلك حرم الإسلام إتيان المرأة في دبرها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول، أو أتى امرأة حائضًا، أو أتى امرأة في دُبُرها فقد برئ مما أنزل على محمد" (صحيح الجامع: ٥٩٤٢).

حُسن العشرة:

قال الله تعالى: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرًا كَثِيرًا» (النساء: ١٩)، وقال صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء"، وقال: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله" (صحيح الجامع: ٣٣١٤).

وعن المقدام بن معديكرب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة، وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة". (صحيح الجامع: ٥٥٣٥).

وفي الخبر الصحيح قوله:" وهو يحتسبها". قال القرطبي: أفاد منطوقه أن الأجر في الإنفاق إنما يحصل بقصد القربة سواء كانت النفقة واجبة أو مباحة.

وقد رغَّب الإسلام الزوج في إحسان معاشرة زوجته، يظهر ذلك من الحديث الآتي: عن عمر بن سعد رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجبتُ من قضاء الله عز وجل للمؤمن: إن أصابه خير حمد ربه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر. المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته" (مسند الإمام أحمد بن حنبل ١/١٧٣، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن).

احذر الفتنة بالزوجة:

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوًّا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (التغابن:١٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) في قوم من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم فأتوا المدينة فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوهم قد فقهوا؛ فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله عز وجل: (وإن تعفوا وتصفحوا) الآية.(أخرجه الحاكم ٢/٥٣٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي).

وعن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في مال الرجل فتنة، وفي زوجته فتنة وولده".(صحيح الجامع: ٢١٣٧). وقد تكون الفتنة معيقة للرجل عن الطاعات والقربات.

عن عبد الله بن عاصم بن المنذر قال: كان عبد الله بن أبي بكر رضى الله عنهما زوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدويَّة، أخت سعيد بن زيد، وكانت من المهاجرات، وكانت حسناء جميلة بارعة،

فأولع بها، فأحبها حباً شديداً حتى شغلته عن تجارته وعن مغازيه، فأمره أبوه أبو بكر بفراقها لذلك، وأن يطلقها تطليقة واحدة، ففعل ثم ندم على فعله، فقال هذه الأبيات:

يقولون طلقها وخيِّم مكانها
مقيما، تمنّى النّفس أحلام نائم
وانّ فراقى أهل بيت جمعتهم
على كبرة منّى لإحدى العظائم
أراني وأهلي كالعجول تروّحت
إلى بوّها قبل العشار الرّوائم

فعزم عليه أبوه حتى طلقها ثم تبعتها نفسه، فدخل عليه أبو بكر رضى الله عنه وهو يقول:

أعاتك لا أنساك ماذرّ شارق
وما ناح قمرىّ الحمام المطوّق
أعاتك قلبى كلّ يوم وليلة
إليك بما تخفي النفوس معلّق
فلم أر مثلى طلّق اليوم مثلها
ولا مثلها فى غير جرم تطلّق
لها خلق جزل ورأى ومنصب
وخلق سويّ في الحياء ومصدق

فرقّ له أبوه، وأمره بمراجعتها فارتجعها؛ وقال هذه الأبيات:

أعاتك قد طلّقت في غير ريبة
وروجعت للأمر الذي هو كائن
كذلك أمر الله غاد ورائح
على النّاس فيه ألفة وتباين
وما زال قلبي للتفرّق طائرا
وقلبي لما قد قرّب الله ساكن
فإنّك ممّن زيّن الله وجهه
وليس لوجه زانه الله شائن

ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة الطائف، فأصابه سهمٌ، فمات منه، فلما مات عبد الله صارت عاتكة ترثية بهذه الأبيات:

رزئت بخير النّاس بعد نبيّهم
وبعد أبي بكر وما كان قصّرا
فآليت لا تنفكّ عيني حزينة
عليك، ولا ينفك جلدي أغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى
أكرّ وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنّة خاضها
إلى الموت حتى يترك الرّمح أحمرا

ثم تزوّجت بعده زيد بن الخطاب، على اختلاف في ذلك؛ فقتل عنها يوم اليمامة شهيدا، فتزوّجها عمر بن الخطاب في سنة اثنتي عشرة، فأولم عليها، ودعا عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم عليّ بن أبي طالب؛ فقال له: دعني أكلّم عاتكة: قال: نعم، فأخذ بجانب الحذر. ثم قال: يا عُديّة نفسها، أين قولك:

فآليت لا تنفكّ عيني حزينة
عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فبكت. فقال عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟! كلّ النساء يفعلن هذا، ثم قتل عنها عمر، فقالت تبكيه:

منع الرقاد فعاد عيني عائد
مما تضمّن قلبي المعمود
يا ليلة حبست عليّ نجومها
فسهرتها والشّامتون رقود
قد كان يسهدُني حذارك مرّة
فاليوم حقّ لعيني التّسهيد
أبكي أمير المؤمنين ودونه
للزائرين صفائح وصعيد

ثم تزوّجها الزّبير بن العوّام فقتل عنها؛ فقالت ترثيه بهذه الأبيات:

غدر ابن جرموز بفارس بهمّة
يوم اللّقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نبّهته لوجدتة
لا طائشا رعش الجنان ولا اليد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه
عنها طرادك يا بن فقع القردد
ثكلتك أمّك إن ظفرت بمثله
فيما مضى ممن يروح ويغتدى
والله ربّك إن قتلت لمسلما
حلّت عليك عقوبة المتعمّد

ثم خطبها علي بن أبي طالب رضى الله عنه بعد انقضاء عدّتها، فأرسلت إليه. إنّي لأضنّ بك يا ابن عمّ رسول الله عن القتل. (نهاية الأرب في فنون الأدب (١٩/ ١٣٧- ١٣٩). لشهاب الدين النويري ت:٧٣٣هـ).

وللحديث بقية إن شاء الله.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٤٧)

قصة كاتب النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذُكرَ في القرآن الكريم

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد علي حشيش

أولا: أسباب ذكر هذه القصة

من أهم أسباب ذكر هذه القصة: انتشارها في كثير من كتب التفسير، عند تفسير قوله تعالى: « يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ » الآية (الأنبياء: ١٠٤). فذكروا أن السجل: اسم صحابي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم. ومن هذه التفاسير التي ذكرت هذا الخبر على سبيل المثال لا الحصر:

١) أخرجه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ) في «تفسيره» المسمى «جامع البيان في تأويل القرآن» (١٠٤/٩). ط: دار الغد العربي.

٢) وأورده الزجاج وهو إبراهيم بن السري بن سهل المتوفى سنة (٣١١هـ) في «تفسيره» المسمى «معاني القرآن وإعرابه» (٤٠٦/٣). ط: عالم الكتب- بيروت.

٣) وأورده أبو بكر العزيري وهو محمد بن عزير السجستاني المتوفى سنة (٣٣٠هـ) في «غريب القرآن» المسمى «نزهة القلوب» ص (٢٨١) ط: دار قتيبة - سوريا.

٤) وأورده أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة (٤٧١هـ) في «درج الدرر في تفسير الآي والسور» (٣٢٦/٢)، ط: دار الفكر - عمان- الأردن.

٥) وأورده أبو الحسن علي بن فضال بن علي بن غالب المجاشعي القيرواني، المتوفى سنة (٤٧٩هـ) في «النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم واعرابه»، ص (٣٣٣) ط: دار الكتب العلمية بيروت.

٦) وأورده أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي السمعاني، المتوفى سنة (٤٨٩هـ) في «تفسير القرآن» (٤١٢/٣)، ط: دار الوطن- الرياض- السعودية.

٧) وأورده أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الأصبهاني الملقب: بقوام السنة المتوفى سنة (٥٣٥هـ) في «إعراب القرآن للأصبهاني» ص (٢٤٣)- فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية-

الرياض.

٨) وأورده الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى سنة (٧٧٤هـ) في «تفسير القرآن العظيم» (٣٨٣/٥)، ط: دار طيبة.

٩) وأورده أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد الدين المتوفى سنة (٨١٥هـ) في «التبيان في تفسير غريب القرآن» ص (٢٣٥)، ط: دار الغرب الإسلامي- بيروت.

١٠) وأورده الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة (٩١١هـ) في «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٣٤٠/٤)، ط: دار المعرفة- بيروت لبنان.

١١) وأورده محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ) في تفسيره «فتح القدير» (٥١١/٣)، ط: دار الكلم الطيب دمشق- بيروت.

١٢) وأورده شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المتوفى سنة (١٢٧٠هـ) في «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» (٩٥/٩)، ط: دار الكتب العلمية- بيروت.

١٣) وأورده أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ) في تفسيره المسمى «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» (٢٠٧/٣)، ط: مكتبة مصر.

١٤) وأورده أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي في «تفسيره» (٩٠/٣)، ط: البابي الحلبي وهو مختصر لكلام الزمخشري.

١٥) وأورده أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ) في تفسيره المسمى «الجامع لأحكام القرآن» (٣١٢/٦)، ط: دار الحديث القاهرة.

فائدة:

هذه القصة الواهية والتي سنبين عوارها ونكشف عارها بالتخريج والتحقيق أثرت عند بعض الذي صنفوا التصانيف المتخصصة في معرفة الصحابة نتيجة تفسير كلمة «السجل» والتي لم تُذكر في القرآن إلا مرة واحدة في يوم عظيم قال تعالى: «يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ» (الأنبياء: ١٠٤)، فجعلوا «السجل» اسم صحابي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى سبيل المثال لا الحصر من المصنفين الذين صنفوا في معرفة الصحابة وجعلوا «السجل» اسم صحابي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم.

١) الإمام عز الدين ابن الأثير: وهو الذي ذكره الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١٣٩٩/٤) (١١٢٤) فقال: «الإمام العلامة الحافظ فخر العلماء عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المحدث اللغوي صاحب التاريخ، و«معرفة الصحابة»، و«الأنساب» وغير ذلك توفى سنة (٦٣٠هـ).

قلت: فقد ذكر «سجل» في كتابه «أسد الغابة في معرفة الصحابة» تحت رقم (١٩٤٠) متخذًا هذا الخبر الواهي شاهدًا: عفا الله عنا وعنه.

٢) وذكره الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ) في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» (٣٠٩٦/٣٣/٣) ط: دار الجيل بيروت، وقال: «سجل كاتب النبي صلى الله عليه وسلم».

٣) وذكره الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني المتوفى سنة (٤٣٠هـ) في كتابه «معرفة الصحابة» (١٤٥٤/٣) ط: دار الوطن- الرياض، وقال: «سجل كاتب النبي صلى الله عليه وسلم». وأخرج لذلك حديث ابن عمر، وحديث ابن عباس.

فائدة أخرى:

فكما ذكرت قصة كاتب النبي صلى الله عليه وسلم "سجل" في كتب التفاسير التي ذكرناها آنفًا، وكذلك كتب معرفة الصحابة كما بينا، فذكرت أيضًا في أكثر من كتاب من كتب السنة الأصلية كما سنبينه من التخريج والتحقيق.

ثانيا: المتن:

المتن الذي ذُكرت فيه قصة «كاتب النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكر في القرآن الكريم». روى من حديث ابن عباس، ومن حديث ابن عمر:

١) المتن من حديث ابن عباس: روى عن ابن عباس في قوله تعالى: «يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ» قال: «كان للنبي صلى الله عليه وسلم كاتب يدعى السجل».

٢) المتن من حديث ابن عمر: روى عن ابن عمر قال: «كان للنبي صلى الله عليه وسلم كاتب يقال له سجل فأنزل الله تعالى: «يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ»».

ثالثا: التخريج

١) حديث ابن عباس:

أ) أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٠/١٢) ح (١٢٧٩٠) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس.

ب) وأخرجه الإمام الحافظ البيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٦/١٠) قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أنبأنا أبو

علي الرفاء، حدثنا عليّ بن عبد العزيز حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه به.

ج) وأخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٠٥/٧) (٢١٠٧/٥٤) قال حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن ناجية، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن مفضل، حدثنا محمد بن سليمان حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري سمعت أبي به.

د) وأخرجه الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٠٤٦/٤٢٠/٤) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز... بنفس سند الطبراني.

رابعًا: التحقيق لحديث ابن عباس

نستنتج من تخريج حديث ابن عباس عند الأئمة الطبراني والبيهقي وابن عدي والعقيلي أن الحديث جاء عندهم جميعًا من طريق يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس.

وعلته يحيى بن عمرو بن مالك النكري:

١) قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٥٩٥/٣٩٩/٤): «يحيى بن عمرو بن مالك لنكري ضعفه أبو داود وغيره ورماه حماد بن زيد بالكذب». اهـ.

٢) وروى له الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢٠٥/٧) هذا الحديث وأحاديث أخر، ثم قال: «وهذه الأحاديث التي ذكرتها عن يحيى بن عمرو بن مالك بهذا الإسناد وأحاديث أخر مما لا أذكرها وليس ذاك بمحفوظ». اهـ. قلت: وعبارة «ليس بمحفوظ وغير محفوظ» أكثر ما يقولها ابن عدي في الكذابين والمتروكين.

٣) وذكر الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٢٧/١١) أن يحيى بن عمرو بن مالك النكري: ضعّفه ابن معين وأبو زرعة وأبو داود والنسائي والدولابي، ثم نقل أن أحمد بن حنبل قال: ليس هذا بشيء، وقال الساجي: منكر الحديث. اهـ.

٤) قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١١٤/٣): «كان منكر الرواية عن أبيه».

٥) وأورده الإمام الحافظ الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» برقم (٥٨٣) وقال: «يحيى بن عمرو بن مالك بصري».

فائدة:

لم يذكر إلا الاسم فقط فيظن من لا دراية له بمنهج الدارقطني في كتابه هذا أنه سكت عن الراوي، ولكن هيهات فبمجرد ذكر الاسم في هذا الكتاب يدل على أن الراوي متفق على تركه يتبين ذلك في مقدمة الكتاب: حيث قال الإمام البرقاني: "طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن الحسن بن حكمان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرّر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات". اهـ.

٦) لذلك قال الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٠٤٦/٤٢٠/٤): «يحيى بن عمرو بن مالك النكري لا يتابع على حديثه». اهـ. قلت: لأنه كذاب متروك ليس بشيء كما بينا.

طريق أخر عن ابن عباس:

١) أخرجه الإمام أبي داود في «السنن» ح (٢٩٣٥)، قال حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا نوح بن قيس، عن يزيد بن كعب، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس.

٢) وأخرجه الإمام النسائي في «السنن الكبرى» (٤٠٨/٦) ح (١١٣٣٥)، قال: أنبأنا قتيبة بن سعيد به.

٣) ومن هذا الطريق أخرجه الحافظ البيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٦/١٠).

قلت: ولا يصلح هذا الطريق للمتابعة حيث فيه «يزيد بن كعب» حيث قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٣٧٠/٢): «مجهول». وبما أنه لم يرو عنه إلا راوٍ واحد كما في «تهذيب الكمال» (٧٦٣٤/٣٦٩/٢٠) للإمام المزي فهو «مجهول العين» ولم يوثّق فهو مردود لا يصلح أن يكون متابعًا ليحيى بن عمرو بن مالك الكذاب المتروك. فهذا الطريق يزيد الحديث وهنًا على وهن.

حديث ابن عمر:

١) أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٧٥/٨)، وعلته حمدان بن سعيد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٢٨٦/٦٠٢/١): «حمدان بن سعيد، عن عبد الله بن نمير، أبي يخبر كذاب عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم اسمه سجل». اهـ.

٢) وأورده الحافظ ابن كثير في «تفسيره» من رواية الخطيب من حديث ابن عمر ثم قال: «وهذا منكر جدًا من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلًا، وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره. لا يصح أيضًا، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي». اهـ.

قلت: «ولولا التقييد بمساحة النشر لفصلت وبينت بقية الأئمة الحفاظ الذين قالوا: بوضعه وفقد متنه». اهـ.

هذا ما وفّقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (١٠١)

القسم الثاني

علي حشيش

(٨٩٧) «إذا قمت من الليل تصلي، فارفع صوتك قليلًا، تفزع الشيطان، وتوقظ الجيران، وترضي الرحمن».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح (٢٢٨- الغرائب الملتقطة). عن الخضر بن أبان، عن أبي هدبة، عن أنس مرفوعًا وعلته أبو هدبة قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٤٣/١/١): «إبراهيم بن هدبة روى عن أنس بن مالك سألت أبي عنه فقال: «كذاب». اهـ.

وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٤٢/٧١/١): «حدث ببغداد وغيرها بالأباطيل، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال الخطيب: حدث عن أنس بالأباطيل. قال أبو حاتم وغيره: كذاب». وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين»: «إبراهيم بن هدبة أبو هدبة شيخ يروي عن أنس بن مالك، دجال من الدجاجلة، وكان رقاصًا بالبصرة، يدعى إلى الأعراس فيرقص فيها فلما كبر جعل يروي عن أنس ويضع عليه. فلا يحل لمسلم أن يكتب حديثه إلا على وجه التعجب». اهـ.

وأخرج الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٠١/٦): «عن يحيى بن معين، قدم علينا هاهنا فكتبنا عنه عن أنس بن مالك ثم تبين لنا كذبه، كذاب خبيث». اهـ.

وعلة أخرى: الخضر بن أبان قال الذهبي في «الميزان» (٢٥١٢/٦٥٤/١): «الخضر بن أبان الهاشمي عن أبي هدبة البصري ضعفه الحاكم وغيره، وتكلم فيه الدارقطني». اهـ.

(٨٩٨) «إن في جهنم بحرًا أسود مظلمًا منتن الريح يغرق الله فيه كل من أكل رزقه وعبد غيره».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢٠١/٦) من طريق أبي نعيم بسنده عن الخضر بن أبان حدثنا إبراهيم بن هدبة حدثنا أنس بن مالك مرفوعًا، وهذا الحديث موضوع علته إبراهيم بن هدبة أبو هدبة الكذاب الخبيث الدجال الوضاع كما بينا آنفًا، والخضر بن أبان ضعفه الحاكم وغيره كما بينا أيضًا.

(٨٩٩) «السقط يثقل الله به الميزان، ويكون شافعًا لأبويه يوم القيامة».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح (١٨٥٧- الغرائب الملتقطة). قال أبو نعيم: حدثنا ابن أبي العزائم، حدثنا الخضر بن أبان، حدثنا أبو هدبة عن أنس بن مالك مرفوعًا.

وعلته: أبو هدبة الكذاب الخبيث الدجال الوضاع كما بينا آنفًا. والخضر بن أبان ضعفه الحاكم وغيره كما بينا آنفًا.

(٩٠٠) «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٦٠/١) بصيغة الجزم مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجده مرفوعًا». اهـ. ولكن أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦١/٧) من قول سفيان الثوري والمسند إليه صحيح بلفظ: «يكتب للرجل من صلاته ما عقل منها». اهـ.

(٩٠١) «من صلى عشرين ركعة بين العشاء الآخرة والمغرب، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و«قل هو الله أحد»، حفظه الله في نفسه، وولده، وأهله، وماله، ودنياه، وآخرته».

الحديث لا يصح: أخرجه الرافعي القزويني في «التدوين في أخبار قزوين» (٢١١/٢)، (٦٠/٤) ط: دار الكتب العلمية بيروت، من طريق أبي هدبة عن أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته أبو هدبة إبراهيم بن هدبة الكذاب الخبيث الدجال الوضاع كما بينا آنفًا.

الحلقة (٧٥)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الحافظ الذهبي (ت٧٤٨) يَثبت (صفة الكلام).. ويعلق على مقولات بعض أئمة العلم بما هو غاية في الأهمية

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فللإمام الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) في إثبات (صفة الكلام) جهد طيب بذله في كتابه (العلو)؛ حيث سرد من الأحاديث ما به تقام الحجة، وكان مما ذكره حديث الإسراء وفيه مناشدة النبي عليه السلام ربه التخفيف في عدد الصلوات، وفي آخره قوله تعالى له: (قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي).. وحديث صعود الملائكة السياحين بأعمال العباد وسؤاله إياهم عن عباده، والحال الذين كانوا عليه، وعما يسألونه تعالى ويتعوذون به ومنه، وقوله: (إني أشهدكم أني قد غفرت لهم.. هم القوم لا يشقى بهم جليسهم). وحديث: (أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) (الحديث)، وقد عقّب- رحمه الله- عليه بقوله: "وفيه: التفريق بين الكلام النفسي والكلام المسموع، وأنه تعالى متكلم بهذا وبهذا، وهو الذي كلم موسى تكليمًا وناداه من جانب الطور الأيمن وقربه نجيا".. وحديث: (أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي).. وحديث نزوله في ثلث الليل الأخير وقوله: (أنا الملك، من ذا الذي يسألني فأعطيه.. يدعوني فأستجيب له.. يستغفر لي فأغفر له).

١ - الذهبي يعقّب ذكر الأحاديث المثبتة لصفة الكلام بذكر طرف من آثار التابعين

فيذكر في (العلو) ص٩٤، ٩٦، ٩٧: قول أبي قلابة: لما أهبط الله آدم قال: (يا آدم إني مهبط معك بيتاً يطاف حوله كما يطاف حول عرشي، ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي.. الأثر).. وقول قتادة: (قالت بنو إسرائيل: يا رب! أنت في السماء ونحن في الأرض، فكيف نعرف رضاك من غضبك؟، قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم، وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم)، كذا بما يعني أن أمر صلاح الأمة متوقف على تغيير ما بنفسها أولاً عن طريق دعاتها المخلصين.. وقول مالك بن دينار: (خذوا، فيقرأ ثم يقول: اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه)

٢- ويثنّي بذكر بعض من آثار الأئمة عند وعقب ظهور الجهم

فيذكر فيما يذكر قول عالم زمانه سفيان الثوري- وبنحوه عن عمرو بن دينار وأبي يوسف والفضيل وأبي بكر بن عياش ووكيع وابن عيينة وسائر أئمة السلف-: "من قال: القرآن مخلوق- أو مُحْدَث- فهو كافر، وفرضٌ منابذته"، وقوله- وقد سئل أن يحدّث بشيء من السنة-: "القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، من قال غير هذا فهو كافر". ويروم بقوله: (منه بدأ): الرد على الجهمية ومن تبعهم من الأشعرية نفيهم الكلام اللفظي عن الله، وأنه خُلق في الهواء أو غيره، وبدأ من عند سواه.. وقول مالك: "القرآن كلام الله وكلام الله منه، وليس من كلام الله شيء مخلوق"، وقوله- وبنحوه عن ابن مهدي وغيره-: "من قال: القرآن مخلوق يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه".

وقول حماد بن زيد: "القرآن كلام الله أنزله جبريل من عند رب العالمين"، وقول ابن عياش: "القرآن كلام الله ألقاه إلى جبريل وألقاه جبريل إلى محمد"، كذا بصريح العبارة وبما يؤكد: أن جبريل هو من نزل به، وليس من كلامه ولا هو عبارته كما تدعي الأشعرية.. وما جاء عن ابن أبي ليلى- قاضي الكوفة وعالمها- من أنه استتاب رجلاً قال: (القرآن مخلوق) كما يستتيب النصارى.. وقول جعفر الصادق عن القرآن: "ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله".

وقول أحمد- محتجاً لعدم خلق القرآن بقوله تعالى: (الرحمن علم القرآن)-: "أخبر تعالى أن القرآن من علمه". ومعلوم موقفه من قضية (خلق القرآن).. وقول أبي زرعة وأبي حاتم بحق رجل قال: (إن لم يكن القرآن مخلوقاً فمحا الله ما في صدري): "فنسي القرآن حتى كان يقال له: قل (بسم الله الرحمن الرحيم)، فيقول: معروف معروف، ولا يتكلم به".. وقول حرب الكرماني ت٢٨٨: "إن الجهمية أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، ولا يُرى في الآخرة، ولا يُعرف لله كلام، وليس على عرش ولا كرسيٍّ، وهم كفار فاحذروهم".. وقول عمرو بن عثمان المكي: "هو عز وجل القائل: (أَنَا اللَّهُ) طه/ ١٤) لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائياً لا أمره، المستوي على عرشه دون كل مكان، كلم موسى تكليماً.. فسمع موسى كلام الله".. وقول أبي القاسم القشيري في شكاية أهل السنة: "وما نقموا من أبي الحسن الأشعري إلا أنه قال بإثبات صفات الجلال لله من قدرته وعلمه وحياته ووجهه ويده، وأن القرآن كلامه غير مخلوق".

٣- ويفوه بتعقيبات هي غاية في الأهمية

ونذكر من ذلك قوله ص١٤١ من كتابه (العلو)- بعد أن ساق كلام الإمام محمد بن أسلم الطوسي ت٢٤٢ الذي فيه: (القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلي وحيثما كتب، لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل)-: "صدق والله فإنك تنقل من المصحف مائة مصحف، وذاك الأول لا يتحول في نفسه ولا يتغير، وتُلقّنُ القرآن ألف نفس وما في صدرك باق بهيئته لا يُفصل عنك ولا يُغيّر، وذاك لأن المكتوب واحد والكتابة تعددت؛ والذي في صدرك واحد وما في صدور المقرئين هو عين ما في صدرك سواء؛ والمتلوّ وان تعدد التالون به واحد مع كونه سوراً وآيات وأجزاءً متعددة؛ وهو كلام الله ووحيه وتنزيله وإنشاؤه، ليس هو بكلامنا أصلاً، وتكلمُنا به وتلاوتُنا له ونطقنا به من أفعالنا، وكذلك كتابتُنا له وأصواتُنا به من أعمالنا، قال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) الصافات/ ٩٦). فالقرآن المتلوّ مع قطع النظر عن أعمالنا كلام الله ليس بمخلوق، لكن لا يتأتى إلا من تال أو من مصحف"، إلى أن قال: "ما فصّلتُه في هذه المسألة وان كان حقاً، فإن (أحمد) وعلماء السلف لم يأذنوا في التعبير عن ذلك، وفروا من الجهمية ومن الكلام بكل ممكن.. حسماً للمادة، وإلا فالملفوظ كلام الله، وأما التلفظ به فمن كسبنا" ا.هـ.

وقوله تعليقاً على كلام أبي

جعفر الترمذي الفقيه عن صفة نزوله تعالى: "النزول، والكلام.. والاستواء، عبارات جلية واضحة للسامع، فإذا اتصف بها من ليس كمثله شيء، فالصفة تابعة للموصوف، وكيفية ذلك مجهولة عند البشر".. وقوله ص١٦٣ تعليقاً على ما صرح هو به من موافقة أبي الحسن الأشعري لأئمة الحديث ونقله لإجماعهم في إثبات جميع صفاته تعالى- والكلام بالطبع واحدة منها-: "فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه ولزموها لأحسنوا، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا خلف المنطق، فلا قوة إلا بالله"

وقوله بنفس المصدر ص ١٨٣ تعليقاً على قول ابن عبد البر- (أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ويزعمون أن من أقر بها مُشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود)، وذكره قول حماد بن زياد في ضرب المثل لمن عطلها ونفاها بذكر السلوب: (مثل الجهمية، كقوم قالوا: في دارنا نخلة، قيل: لها سعف؟، قالوا: لا، قيل: فلها كرب وهو أصول السعف؟، قالوا: لا، قيل: لها رطب وعزق؟، قالوا: لا، قيل: فما في داركم نخلة)-: "كذلك هؤلاء النفاة، قالوا: (إلهنا الله تعالى، وهو: لا في زمان ولا في مكان، ولا يُرى ولا يسمع ولا يُبصر ولا يتكلم ولا يرضى ولا يغضب ولا يريد، ولا... ولا..)، وقالوا: (سبحان المنزه عن الصفات!)، ونحن نقول: (سبحان الله العلي العظيم، السميع البصير المريد، الذي كلم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً، ويرى في الآخرة، المتصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، المنزه عن سمات المخلوقين وعن جحد الجاحدين".

وقوله ص١٨٦ تعليقاً على قول الخطيب (ت٤٦٣)- (ما روي من الصفات في السنن الصحاح، مذهب السلف: إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.. فلا نقول إنها جوارح وأدوات للفعل، وإنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها)-: "هذا الذي علمت: من مذهب المسلف، والمراد بظواهرها، أي: لا باطن لألفاظ الكتاب والسنة غير ما وُضعت له، كما قال مالك: (الاستواء معلوم)، وكذلك القول في: (السمع والبصر والعلم والكلام والإرادة والوجه) ونحو ذلك، هذه الأشياء معلومة فلا تحتاج إلى بيان وتفسير، لكن الكيف في جميعها مجهول عندنا".

وعلى ما فاه به الشيخ (أبو البيان) الإمام القدوة اللغوي (ت٥٥١)- قائلاً في حوار جرى بينه وبين رجل من أهل الكلام: (ويحك، الحنابلة إذ قيل لهم: ما الدليل على أن القرآن بحرف وصوت؟، قالوا: قال الله كذا وقال رسوله كذا، وسرد الشيخ الآيات والأخبار، وأنتم إذا قيل لكم: ما الدليل على أن القرآن معنى قائم بالنفس؟، قلتم: قال الأخطل: (إن الكلام لفي الفؤاد)، أيش هذا الأخطل؟! نصراني خبيث، بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قوله وتركتم الكتاب والسنة"- عقب الذهبي يقول:

"كلام الله غير مخلوق، وأنه عين ما تكلم به، هو عز وجل منشيه ومبتديه، مع اعترافنا بأن تلاوتنا له وأصواتنا وتلفظنا به مخلوق، وتكلُم الرب صفة من صفاته التي من لوازم ذاته المقدسة، فلا يعلم كيفية ذلك، وكلمات الله لا تنفد ولو كان البحر مداداً لها ويمده من بعده سبعة أبحر، فكلامه من علمه وعلمه لا يتناهى، فلا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء" سبحانه في علاه، وفي خطوة لحسم الأمر كعادته، حكا الذهبي في السير (١٩/ ٤٤٨) وأثناء ترجمته لابن عقيل، أن "قد صار الظاهر اليوم ظاهرين: أحدهما حق، والثاني باطل،

فالحق: أن يقول إنه سميع بصير مريد متكلم حي، (كل شيء هالك إلا وجهه)، (خلق آدم بيده)، و(كلم موسى تكليماً)، و(اتخذ إبراهيم خليلاً)، وأمثال ذلك، فنمرّه على ما جاء، ونفهم منه دلالة الخطاب كما يليق به تعالى، ولا نقول: له تأويل يخالف ذلك.. والظاهر الآخر وهو الباطل والضلال: أن تعتقد قياس الغائب على الشاهد، وتمثل الباري بخلقه، بل صفاته كذاته، فلا عدل له ولا ضد له ولا نظير له ولا مثل له ولا شبيه له، وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، وهذا أمر يستوي فيه الفقيه والعامي".

٤- ويسوق الإجماع على إثبات كلامه تعالى وجميع صفاته

وكان الحافظ الذهبي قد ساق في كتابه (العلو) ص١٥٧ عن الإمام الطحاوي عالم الديار المصرية في وقته قوله- ضمن إجماع وبيان السنة والجماعة على مذهب فقهاء الأمة-: "وأيقنوا أن كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر كفر"، إلى آخر ما قال.

كما ساق في ص١٧٦ قول أبي نعيم الأصبهاني وفيه: "طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه: أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة، لا يزول ولا يحول، لم يزل.. متكلماً بكلام، ثم أحدث الأشياء من غير شيء، وأن القرآن كلام الله، وكذلك سائر كتبه المنزلة، كلامه غير مخلوق، وأن القرآن في جميع الجهات- مقروءاً ومتلواً ومحفوظاً ومسموعاً ومكتوباً وملفوظاً- كلام الله حقيقة، لا حكاية ولا ترجمة.. وأن الواقفة واللفظية من الجهمية، وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله، فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر".. يقول الذهبي معقباً: "فقد نقل هذا الإمام، الإجماع على هذا القول ولله الحمد، وكان حافظ العجم في زمانه بلا نزاع، جمع بين علو الرواية وتحقيق الدراية" ا.هـ.

وممن ساق الذهبي له الإجماع: القادر بالله ابن المقتدر في معتقده المشهور، فقد "قرأ ببغداد بمشهد من علمائها وأئمتها على أنه قول أهل السنة والجماعة، وفيه: أن كلام الله غير مخلوق أنزله على رسوله".. والطلمنكي (ت٤٢٩)-وذلك إبان رده الشبه التي أوردها أهل الزيغ على إجماع أهل السنة على إثبات صفاته تعالى بزعم أن (الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه)- حيث قال: "نسألهم أتقولون أن الله موجود؟ فإن قالوا: نعم، قيل لهم: يلزمكم من دعواكم أن يكون مشبهاً للموجودين، وإن قالوا: موجود ولا يوجب وجود الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: فكذلك هو حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم، يعني: ولا يلزم من ذلك اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات".. وكذا السجزي (ت٤٤٤)، ومما نقله عنه الذهبي: "أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وابن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله بذاته على عرشه وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء".

كما نقل الذهبي في العلو ص١٩٢ عن الحافظ أبي القاسم التيمي في (الحجة)، قوله: "مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وأحمد ويحيى بن سعيد وابن مهدي وإسحاق وابن راهويه، أن صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه- والكلام المسموع بالطبع واحدة منها- إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيف يُتوهم فيها، ولا تشبيه ولا تأويل، قال ابن عيينة: (كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسيره).. أي: هو على ظاهره لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل".

والى لقاء آخر، والحمد لله رب العالمين.

صلاة الاستسقاء

الحلقة الثالثة

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تكلمنا في اللقاء السابق عن سنن وآداب الاستسقاء، وذكرنا منها: التوبة من المعاصي، والتقرب إلى الله تعالى بوجوه البرّ والخير من صدقة وغيرها، والخروج من المظالم وأداء الحقوق، وأن يَعدُ الإمامُ الناسَ يومًا يخرجون فيه، وأن يخرج الإمام والناس في تواضع وتبذلٍ وتخشع وتضرُّع، وأن تصلى صلاة الاستسقاء في الصحراء، مع التنظف للاستسقاء بغسل وسواك وازالة رائحة وتقليم أظفار ونحوه، والتوسل بدعاء أهل الدين والصلاح، واستقبال القبلة ورفع اليدين في الدعاء وتحويل الإمام والناس أرديتهم في الدعاء، وأنه لا أذان ولا إقامة لصلاة الاستسقاء، ونبدأ في هذا اللقاء الحديث عن كيفية صلاة وخطبة الاستسقاء.

كيفية صلاة الاستسقاء:

اتفق الجمهور غير أبي حنيفة-كما ذكرنا من قبل- على أن صلاة الاستسقاء ركعتان بجماعة في المصلى بالصحراء خارج البلد، بلا أذان ولا إقامة، وانما يُنادَى لها (الصلاة جامعة)؛ لأنه صلَى الله عليه وسلم لم يُقِمها إلا في الصحراء، وهي أوسع من غيرها.

فلا يُعلَم بين القائلين بصلاة الاستسقاء خلافٌ في أنَها ركعتان، واتَفقت المذاهب على الجهر بالقراءة في الاستسقاء؛ لأنَها صلاةٌ ذات خطبة، وكلَ صلاةٍ لها خطبةٌ فالقراءة فيها تكون جهرًا؛ لاجتماع النَاس للسَماع، ويقرأ بما شاء، لحديث عبد الله بن زيد: «خَرَجَ النَبيُّ صلى الله عليه وسلم، يَسْتَسْقي فتَوَجَّهَ نحو القِبْلَة يَدْعُو، وَحَوَّلَ رداءَهُ، ثُمَّ صَلَى رَكْعَتَيْنِ جَهَرَ فيهمَا بالْقِرَاءَة» رواه البخاري.

قال ابن بطال: "السُنة المجتمع عليها الجهر بالقراءة في صلاة الاستسقاء" (شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٦/٣)، وقال النووي في شرح مسلم ١٨٩/٦: "أجمعوا على استحبابه". ولكن الأفضل أن يقرأ فيهما بما كان يقرأ في العيد، فإن قرأ فيهما بـ «سَبِّح اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى» و«هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» فحسنٌ؛ واختلف في صفتها على رأيين وسبب الخلاف اختلافهم في قياسها على صلاة العيدين:

الرَّأي الأوَّل، وبه قال الشافعي والطبري: التكبير في صلاة الاستسقاء كالتكبير في العيدين سواء، وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز وأبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وقولٌ لمحمَد وقد روي عن أحمد بن حنبل مثل قول الشافعي في ذلك: يصلّيها ركعتين يكبّر في الأولى سبعًا، وخمسًا في الثانية مثل صلاة العيد، وحجة هذا القول ما روي عن هشام ابن إسحاق عن أبيه قال: أرسلني أمير من الأمراء إلى ابن عباس أسأله عن الصلاة في الاستسقاء. فقال ابن عباس: "ما منعه أن يسألني؛ قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعًا متبذلاً متخشعًا مترسلاً متضرعًا؛ فصلى ركعتين كما يصلي في العيد". (رواه أبو داود وابن ماجة وحسنه الألباني). وتأوله الجمهور على أن المراد كصلاة العيد في العدد والجهر والقراءة. (انظر في هذا: الاستذكار لابن عبد البر ٤٢٨/٢، بداية المجتهد لابن رشد ١٧٢/١، المجموع للنووي ٥/ ١٠٣، المغني لابن قدامة، ٣٣٥/٣-٣٣٧، نيل الأوطار للشوكاني٤/ ٣١).

الرَّأي الثَّاني: وهو للمالكيَّة، والقول الثَّاني لمحمَد، وهو قول الأوزاعيَ، وأبي ثور، وإسحاق والرواية الثانية لأحمَد: تصلَى ركعتين كصلاة النَافلة والتَطوَع؛ لأن عبد الله بن زيد قال: "خرج النبي صلَى الله عليه وسلَم إلى المصلى فاستقبل القبلة وحوَل رداءه، وصلى ركعتين". وفي لفظ: "استسقى فصلى ركعتين وقلب رداءه" متفق عليه، وروى أبو هريرة نحوه، ولم يذكرا التكبير، وظاهره أنه لم يكبَر، فتنصرف إلى الصَلاة المطلقة وهذا ظاهر كلام الخرقي.

وقال داود: إن شاء كبَر كما يكبَر في العيدين، وإن شاء تكبيرة واحدة كسائر الصلوات (انظر: في هذا الاستذكار لابن عبد البر ٤٢٨/٢، بداية المجتهد لابن رشد ١٧٢/١، المجموع للنووي ٥/ ٧٤، المغني لابن قدامة، ٣٣٥/٣-٣٣٧، نيل الأوطار للشوكاني٤/ ٣١).

وقال الشَافعيَة: لو حذف التكبيرات أو زاد فيهن أو نقص منهن صحت صلاته، ولا يسجد للسهو ولو أدركه مسبوقًا في أثناء التكبيرات الزائدة أو بعد فراغها؛ فهل يقضي المأموم التكبيرات؟ فيه القولان السابقان في صلاة العيد (الصحيح الجديد) لا يقضي. (المجموع للنووي ٥/ ٧٦).

خطبة الاستسقاء:

ثبت أن رسول الله صلَى الله عليه وسلَم صلى صلاة الاستسقاء وخطب.

واختلفوا هل هي قبل الصلاة، أو بعدها؟ لاختلاف الآثار في ذلك على ثلاثة آراء:

الأول: تقديم الصلاة على الخطبة، وهو قول المالكية، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن من الحنفية، وهو الأولى عند الشافعية، والراجح عند الحنابلة، وعليه جمهور الفقهاء؛ لقول أبي هريرة: "صلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم خطبنا"؛ ولأنها صلاة ذات تكبيرات، فأشبهت صلاة العيد. (انظر في هذا: شرح الخرشي على مختصر خليل ١١١/٢، حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح ٣٥٩/١، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين الرملي ٤٢٢/٢، الإنصاف في معرفة الراجح لعلاء الدين المرداوي ٣٢٠/٢).

الثاني: تقديم الخطبة على الصلاة وهو رأي للحنابلة، وخلاف الأولى عند الشافعية، وقال به الليث بن سعد، وابن المنذر، وكان مالك يقول به ثم رجع إلى قول الجماهير. واحتجوا بما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: " شكا النَاسُ إلى رسول الله صلَى الله عليه وسلَمَ قُحوطَ المطر، فأمَرَ بمنْبَر، فوُضِعَ له في المُصلَى، ووعَدَ النَاسَ يومًا يَخرُجون فيه. قالَتْ عائشة: فخرج رسولُ الله صلَى الله عليه وسلَم حينَ بَدا حاجبُ الشَمس. فقعدَ على المنْبَر، فكبَرَ صلَى الله عليه وسلَم وحمدَ الله عزَ وجلَ، ثمَ قال: إنَكمْ شكوْتُم جدْبَ ديارِكمْ، واستئْخارَ المطر عنْ إبَانِ زمانه عنكمْ، وقدْ أمرَكمُ الله عزَ وجلَ أنْ تَدعوه، ووعدَكمْ أنْ يستجيبَ لكمْ، ثمَ قال: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» (الفاتحة: ٢- ٤)، لا إله إلا الله يفعَل ما يُريدُ، اللَهمَ أنتَ الله لا إله إلا أنتَ، أنتَ الغنيُ ونحنُ الفقراءُ، أنزلْ علينا الغيثَ، واجعلْ ما أنزلتَ لنا قوَةً وبلاغًا إلى حين، ثُمَ رفعَ يديْه فلمْ يزلْ في الرَفع حتَى بدا بياضُ إبْطيْه، ثمَ

حوّل إلى النّاس ظهرهُ، وقلبَ أو حوّل رداءهُ وهو رافعٌ يديْه، ثُمَّ أقبلَ على النّاس، ونزل، فصلّى ركعتيْنِ، فأنشأ اللهُ سحابة، فرعدتْ وبرقتْ، ثُمَّ أمطرتْ بإذن الله، فلمْ يأتِ مسجدهُ حتّى سالت السُّيول، فلمّا رأى سرعتهُمْ إلى الكنِّ ضحك صلّى الله عليه وسلّم حتّى بدتْ نواجذهُ، فقال: أشهدُ أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنّي عبدُ الله ورسولهُ" رواه أبو داود وحسنه الألباني.

وعن عبد الله بن زيد قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج يستسقي حول إلى الناس ظهره، واستقبل القبلة يدعو، ثم حول رداءه، ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة. متفق عليه (انظر في هذا: المجموع شرح المهذب للنووي ٩٣/٥، الإنصاف في معرفة الراجح لعلاء الدين المرداوي ٣٢٠/٢).

قال ابن المنذر: قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استسقى فخطب قبل الصلاة، وروي عن عمر بن الخطاب مثل ذلك، وبه نأخذ. (بداية المجتهد لابن رشد ١٧٢/١).

الثالث: هو مخير في الخطبة قبل الصلاة أو بعدها، وهو رأي للحنابلة، وقال به داود الظاهري واختاره الشوكاني؛ لورود الأخبار بكلا الأمرين، ودلالتها على كلتا الصفتين. (انظر في هذا المجموع: شرح المهذب للنووي ٩٣/٥، الإنصاف في معرفة الراجح لعلاء الدين المرداوي ٣٢٠/٢، نيل الأوطار للشوكاني ٣٠/٤).

وقال الليث بن سعد: الخطبة قبل الصلاة.

وقد اختلفت الأحاديث في تقديم الخطبة على الصلاة أو العكس؛ ففي حديث أبي هريرة وحديث أنس وحديث عبد الله بن زيد عند أحمد أنه بدأ بالصلاة قبل الخطبة، وفي حديث عبد الله بن زيد في الصحيحين وغيرهما.

وكذا في حديث ابن عباس عند أبي داود وحديث عائشة المتقدم أنه بدأ بالخطبة قبل الصلاة، ولكنه لم يصرح في حديث عبد الله بن زيد الذي في الصحيحين أنه خطب، وإنما ذكر تحويل الظهر لمشابهتها للعيد. وقال القرطبي: "ويُعتضد هذا بقياس هذه الصلاة على صلاة العيدين؛ بسبب أنهما يخرج لهما". قال ابن حجر في الفتح: "ويمكن الجمع بين ما اختلف من الروايات في ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم بدأ بالدعاء ثم صلى ركعتين ثم خطب، فاقتصر بعض الرواة على شيء، وبعضهم على شيء، وعبر بعضهم عن الدعاء بالخطبة فلذلك وقع الاختلاف". وقال الشوكاني: "وجواز التقديم والتأخير بلا أولوية هو الحق" (انظر في هذا: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ١٦/٨، فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٥٠٠/٢، نيل الأوطار للشوكاني ٣٠/٤).

كيفيّة الخطبة ومستحباتها:

قال الشافعيّة، والمالكيّة، ومحمّد بن الحسن من الحنفيّة: يخطب الإمام خطبتين كخطبتي العيد بأركانهما وشروطهما وهيئاتهما، لحديث ابن عبّاس؛ ولأنّها أشبهتها في التّكبير وفي صفة الصّلاة. وقال الحنابلة، وأبو يوسف من الحنفيّة: يخطب الإمام خطبة واحدةً يفتتحها بالتّكبير، لقول ابن عبّاس: لم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدّعاء والتّضرّع والتّكبير، وهذا يدلّ على أنّه ما فصل بين ذلك بسكوت ولا جلوس؛ ولأنّ كلّ من نقل الخطبة لم ينقل خطبتين.

وقال الحنفيّة، والحنابلة، والشّافعيّة في القول المرجوح: يكبّر في الخطبة كما في صلاة العيد. وقال المالكيّة، والشّافعيّة في الرّاجح عندهم: يستبدل بالتّكبير الاستغفار، فيستغفر الله في أوّل الخطبة الأولى تسعاً، وفي الثّانية سبعاً، يقول: أستغفر الله الّذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم وأتوب إليه، ويختم كلامه بالاستغفار، ويكثر منه في الخطبة، ومن قوله تعالى: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا» (نوح: ١٠). وقال الحنفيّة، والشّافعيّة، والمالكيّة: يستقبل الإمام النّاس في الخطبة مستدبرا القبلة، حتّى إذا قضى خطبته توجّه بوجهه إلى القبلة يدعو. وقال الحنابلة: يستحبّ للخطيب استقبال القبلة في أثناء الخطبة؛ لما روى عبد الله بن زيد: أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم خرج يستسقي، فتوجّه إلى القبلة يدعو وفي لفظ: فحوّل إلى النّاس ظهره واستقبل القبلة يدعو. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٣١٣/٣).

وللحديث صلة بإذن الله.

ذمّ البخل والشحّ

الحلقة الأولى

اعداد المستشار/ أحمد السيد علي ابراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمَد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد:

فإن من الأخلاق الذميمة التي ذمها القرآن، وذمتها السُّنة: خُلق البخل، والشح، والذي إذا أصاب مسلمًا، أقعده عن الإنفاق على نفسه وزوجه والآخرين؛ ضنًا منه بالمال الذي وهبه الله إياه، وأمره بإنفاقه فيما تستقيم به حياته الدنيوية، والأخروية، فيأبى امتثال أمر ربه، فلا يسعد، ولا يهنأ بما جمعه من مال، ويشقى ويُشقي من معه، حتى يصل بهم الحال إلى تمنّي وفاته لينعموا بماله بانتقاله إلى ورثته من بعده ليتنعموا بما لم ينعمهم به حال حياته، ولا يبقى له إلا وزر بُخله عليهم.

ولأهمية هذا الموضوع أحببت أن أحذر المسلمين منه في هذا الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: تعريف البخل، والشح، لغة واصطلاحًا:

معنى البخل لغة:

البُخْل ضدُّ الكرم والجود، وقد بَخل بكذا: أي ضنَّ بما عنده ولم يجُدْ، ويقال: هو بخيل وباخل، وجمعه بخلاء، والبخَّال: الشديد: البُخل (انظر مختار الصحاح، والمعجم الوسيط).

معنى البخل اصطلاحًا:

قال ابن حجر في "فتح الباري": البخل هو منع ما يطلب مما يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحقًا، ولا سيما إن كان من غير مال المسئول اهـ.

معنى الشح لغة:

الشُّحُّ: البُخل مع حرص. تقول: شَحَّ يَشُحُّ من باب قتل، ورجل شحيح وقوم شحاح وأشِحّة وأشحاء، وتَشاحَّ القوم: إذا شحَّ بعضهم على بعض (انظر الصحاح، والمصباح المنير).

معنى الشحّ اصطلاحًا:

قال النووي في " شرحه على مسلم ": الشحُّ: هو البخل بأداء الحقوق، والحرص على ما ليس له اهـ.

الوقفة الثانية: الفرق بين البخل والشح (رأيان):

الرأي الأول، يرى أن البخل يفترق عن الشح:

فقيل: إن البخل يكون بما في اليد من مال، بينما الشح يتعلق بمال الآخرين، وممن قال بذلك:

١- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حيث يرى أن البخل هو البخل بما في اليد من مال، أما الشح فهو أن يأكل المرء مال الآخرين بغير حقٍّ، فقد قال له رجل: إني أخاف أن أكون قد هلكت قال: وما ذاك قال: إني سمعت الله يقول: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩). وأنا رجل شحيح، لا يكاد يخرج مني شيء، فقال

له ابن مسعود رضي الله عنه: ليس ذاك بالشحّ، ولكنه البخل، ولا خير في البخل، وإنّ الشحّ الذي ذكره الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلمًا (رواه ابن أبى شيبة، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه).

٢- عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فرق بين الشحّ والبخل، فقال: ليس الشحيح أن يمنع الرجل ماله، ولكنه البخل، وإنه لشرٌ، إنما الشحُ أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له (ذكره البغوي في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه).

وقيل: البخل منع الواجب، والشحُ منع المستحب: ذكره ابن العربي في "أحكام القرآن". وهؤلاء قالوا: إن منع المستحب لا يمكن أن يكون بخلًا لعدة أمور:

أحدها: أن الآية دالة على الوعيد الشديد في البخل، والوعيد لا يليق إلا بالواجب.

وثانيها: أنه تعالى ذم البخل وعابه، ومنع التطوع لا يجوز أن يذمّ فاعله، وأن يعاب به.

وثالثها: وهو أنه تعالى لا ينفك عن تركِ التفضل؛ لأنه لا نهاية لمقدوراته في التفضل، وكلُ ما يدخل في الوجود فهو متناه، فيكون لا محالة تاركًا التفضل، فلو كان ترك التفضل بخلًا لزم أن يكون الله تعالى موصوفًا بالبخل لا محالة، تعالى الله عز وجل عنه علوًا كبيرًا.

ورابعها: قال عليه الصلاة والسلام: وأيُّ داء أدوأ من البخل (رواه البخاري). ومعلوم أن تارك التطوع لا يليق به هذا الوصف.

وخامسها: أنه لو كان تارك التفضل بخيلًا لوجب فيمن يملك المال كله العظيم أن لا يتخلص من البخل إلا بإخراج الكل.

وسادسها: أنه تعالى قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣) وكلمة من للتبعيض، فكان المراد من هذه الآية: الذين ينفقون بعض ما رزقهم الله، ثم إنه تعالى قال في صفتهم: (﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥). فوصفهم بالهدى والفلاح، ولو كان تارك التطوع بخيلًا مذمومًا لما صحّ ذلك. فثبت بهذه الآية أن البخل عبارة عن ترك الواجب اهـ.

الرأي الثاني: أنهما مترادفان لهما نفس المعنى؛ ذكره ابن العربي في أحكام القرآن.

الرأي الراجح: الرأي الذي يفرق بينهما، فيرى ابن القيم- رحمه الله- في " الوابل الصيب " أنّ الفرق بين الشحّ والبخل: أنّ الشحّ هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، والبخل منع إنفاقه بعد حصوله، وحبه، وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشحّ، والشحُ يدعو إلى البخل، والشحُ كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحّه، ومن لم يبخل فقد عصى شحّه ووقي شرّه، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩).» اهـ.

الوقفة الثالثة: ذم البخل والشح في القرآن والسنة:

بتتبع الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة في البخل، والشح في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، أمكن استخراج هذه الوقفات التي تذم هذا الخلق الذميم، وتنهى عنه، وذلك على التفصيل الآتي:

١- قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨).

قال السعدي - رحمه الله - في " تفسيره ": «وأُحْضرت الأنفسُ الشحّ» أي: (جبلت النفوس على الشحّ، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحقّ الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعًا، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضدّه وهو السماحة، وهو بذل الحقّ الذي عليك؛ والاقتناع ببعض الحق الذي لك، فمتى وُفق الإنسان لهذا الخلق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى المطلوب، بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشحُ من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة؛ لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتدّ الأمر» اهـ.

٢- قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ (الأحزاب: ١٩) قال السعدي رحمه الله: «أشحة على الخير»: الذي

يُراد منهم، وهذا شرُّ ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما أمر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحًا بجاهه، شحيحًا بعلمه، ونصيحته ورأيه.

٣- قوله تعالى: «أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ» قال ابن كثير: وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير اهـ.

٤- عن جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إيّاكم والظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتَّقوا الشحَّ، فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم" (رواه مسلم) .

٥- قال تعالى: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩)؛ قال السعدي: لعل ذلك- الوقاية من الشحِّ- شامل لكلِّ ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة اهـ.

٦- أفضل الصدقة والإنسان صحيح شحيح:

عن أبي هريرة: جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صلَى الله عليه وسلَم فقال: يا رَسولَ الله، أيُّ الصَّدقة أعْظمُ أجْرًا؟ قال: "أنْ تَصدَّقَ وأنْتَ صَحيحٌ شَحيحٌ تَخْشَى الفَقرَ، وتَأْمُلُ الغِنَى، ولا تُمْهِلُ حتَى إذَا بلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لفُلانٍ كذا، ولفُلانٍ كذا وقدْ كانَ لفُلانٍ" (رواه البخاري) .

قال ابن حجر - رحمه الله - في " الفتح ": قوله: (وأنت صحيح شحيح) في الوصايا: وأنت صحيح حريص. قال صاحب المنتهى: الشح بخل مع حرص. وقال الخطابي: فيه أن المرض يقصر يد المالك عن بعض ملكه، وأن سخاوته بالمال في مرضه لا تمحو عنه سيمة البخل، فلذلك شرط صحة البدن في الشح بالمال، لأنه في الحالتين يجد للمال وقعا في قلبه لما يأمله من البقاء فيحذر معه الفقر، وأحد الأمرين للموصي والثالث للوارث، لأنه إذا شاء أبطله. قال، الكرماني: ويحتمل أن يكون الثالث للموصي أيضا لخروجه عن الاستقلال بالتصرف فيما يشاء، فلذلك نقص ثوابه عن حال الصحة. قال ابن بطال وغيره: لما كان الشح غالبا في الصحة فالسماح فيه بالصدقة أصدق في النية وأعظم للأجر، بخلاف من يئس من الحياة، ورأى مصير المال لغيره. اهـ.

٧- من يوق شح نفسه من المفلحين: قال تعالى: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩).

قال السعدي-رحمه الله- في "تفسيره": "من رُزق الايثار فقد وُقي شحَّ نفسه "وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (الحشر: ٩)، ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعًا منقادًا، منشرحًا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبًا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته". اهـ.

٨- أفضل دينار:

عن ثوبان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل دينار يُنفقه الرَّجل، دينارٌ يُنفقه على عياله، ودينارٌ يُنفقه الرَّجل على دابَّته في سبيل الله، ودينارٌ يُنفقه على أصحابه في سبيل الله قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال، ثمَّ قال أبو قلابة: وأيُّ رجل أعْظمُ أجْرًا، من رجُل يُنْفقُ على عيالٍ صغار، يُعفُّهُمْ، أوْ يَنفعُهُمُ الله به، ويُغْنيهمْ". (رواه مسلم)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دينارٌ أنفقْتَهُ في سبيل الله ودينارٌ أنفقْتَهُ في رَقبَة، ودينارٌ تَصدَّقْتَ به على مسْكين، ودينارٌ أنفقْتَهُ على أهْلك، أعْظمُها أجْرًا الذي أنفقْتَهُ على أهْلك" (رواه مسلم) .

٩- البخل، وخلف العهد:

قال تعالى: «وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» (التوبة: ٧٥ - ٧٧).

قال ابن كثير- رحمه الله- في "تفسيره": "يقول تعالى: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه: لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله، وليكونن من الصالحين. فما وفى بما قال، ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله- عز وجل- يوم القيامة، عياذًا بالله من ذلك". اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

تمثيل الكفار بالعنكبوت

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا العدد نتكلم عن مثل من الأمثال القرآنية وهو في سورة العنكبوت من الآية (٤١) إلى الآية (٤٣) قال تعالى: «مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ» (العنكبوت: ٤١-٤٣).

المعنى الإجمالي

شبه تبارك وتعالى الكفار في عبادتهم الأصنام وبنائهم جميع أمورهم على ذلك بالعنكبوت التي تبني وتجتهد، وأمرها كله ضعيف متى مسَّته أدنى هامة أو دهمته، وكذلك أمر أولئك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد، فذكر سبحانه أنهم ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا، وهو أوهن البيوت وأضعفه.

وفعل المشركين أو صنعتهم في تأليه الأصنام وعبادتها من دون الله أملا في نصرتهم ونفعهم، ودفع الضر عنهم، كصفة العنكبوت في ضعفها، تتخذ لنفسها بيتًا لحمايتها من الأذى، ولكنه لا يفيدها شيئا فإنه سرعان ما يتبدد بالريح أو بالحشرات المداهمة. فكذلك هـؤلاء المشركون لا تفيدهم الأصنام شيئا، ولا تدفع عنهم شرًا، وتضيع جهودهم لوضعها في غير موضعها، فهم في عملهم في غاية الضعف، مثل بيوت العناكب التي هي أضعف شيء وأوهاه، يخرب بأدنى شيء ولا أثر له، فكذلك أعمالهم لا أثر لها، فلو كانوا يعلمون أدنى علم أن عبادة الأصنام لا تنفع، ما فعلوا ذلك، ولأقلعوا عما يعملون، لكنهم في الواقع جهلة أغبياء. (المحرر الوجيز لابن عطية- الجامع في أمثال القرآن لابن القيم- التفسير الوسيط لوهبه الزحيلي- بتصرف).

معاني المفردات

قوله: (مثل): المثل بمعنى الشبه، وهو عبارة عن تشبيه شيء معقول بشيء محسوس؛ لأن تمثيل المعقولات بالمحسوسات يزيدها وضوحًا

وبيانًا وتصورًا.

(أولياء): المراد بالأولياء الأصنام؛ لأن عابديها يرجون نفعها كالولي الذي ينفعك في النصرة والدفاع عنك وجلب الخير؛ فسمى العابدين أولياء؛ لأنهم ينصرون هذه الآلهة.

وقوله: (من دون الله): عبر بالدون لدنو مرتبته بالنسبة إلى الله عز وجل والمراد بـ (الذين اتخذوا من دون الله أولياء) المشركون.

وقوله (كمثل العنكبوت): كشبه العنكبوت، والعنكبوت: صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل وتتخذ لنفسها نسيجًا تنسجه من لعابها يكون خيوطا مشدودة بين طرفين من الشجر أو الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانبًا أغلظ وأكثر اتصال خيوط تحتجب فيه وتفرخ فيه، وسمي بيتًا لشبهه بالخيمة في أنه منسوج ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر.

وقوله (اتخذت بيتا): أي اتخذت بيتًا لنفسها تأوي إليه.

قوله (وإن أوهن): يعني: أضعف.

قوله (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت): الجملة مؤكدة بـ(إن) و(اللام) من أجل تأكيد ضعف هؤلاء الأولياء.

قوله (لو كانوا يعلمون): أن اتخاذهم الأولياء من دون الله كاتخاذ العنكبوت بيتًا، وأن أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ما عبدوها، أو لو كانوا يعلمون شيئًا من العلم لعلموا بهذا، و(لو) هنا شرطية وفعل الشرط قوله (كان) وجواب الشرط مقدر والتقدير (ما عبدوها).

قوله (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء): قال في فتح البيان: ما استفهامية، أو نافية أو موصولة، ومن للتبيين، أو مزيدة للتأكيد، وقيل التقدير قيل للكافرين، إن الله يعلم أي شيء تدعون من دونه من إنس وجن وملك وحبر، وراهب وغير ذلك.

قوله (وهو العزيز الحكيم): العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه.

قوله (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون): اسم الإشارة هنا للتنويه بالأمثال المضروبة في القرآن التي منها هذا المثل بالعنكبوت. أي هذا المثل وغيره من الأمثال التي في القرآن.

(نضربها للناس): تنبيهًا لهم وتقريبًا لما بعد من أفهامهم.

(وما يعقلها): أي ما يفهم صحتها وحسنها وفائدتها، ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله.

(إلا العالمون): بالله سبحانه وبأسمائه وصفاته، الراسخون في العلم، المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم. (تفسير ابن عثيمين- التحرير والتنوير- تفسير الجلالين- فتح البيان لصديق حسن- بتصرف).

المعنى التفصيلي

بعد أن ذكر تعالى نقمته على أعدائه الذين كفروا به وأشركوا غيره في عبادته وكذبوا رسله وكان ذلك تنبيهًا وتعليمًا للمشركين والكافرين المعاصرين لنزول القرآن لعلهم يستجيبون للدعوة المحمدية فيؤمنوا ويوحدوا ويسلموا فيسلموا من العذاب والخسران، ذكر هنا في هذه الآيات مثلًا لعبادة الأوثان في عدم نفعها لعابديها والقصد هو تقرير التوحيد وإبطال الشرك العائق عن كمال الإنسان وسعادته. (أيسر التفاسير للشيخ أبو بكر الجزائري)

وقال ابن كثير رحمه الله: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئًا، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها». اهـ. ابن كثير.

وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا، كما قال تعالى: «وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ

ضِدًّا » (مريم: ٨١، ٨٢)، وقال سبحانه وتعالى: « وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ » (يس: ٧٤، ٧٥).

وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين: « وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ » (هود: ١٠١).

فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليًا يتعزز به ويتكبر به ويستنصر به لم يحصل له به إلا ضد مقصوده، وفي القرآن أكثر من ذلك، وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده. (إعلام الموقعين: ٢/٢٧٥).

والمراد بالأولياء في الآية الأصنام؛ لأن عابديها يرجون نفعها كالولي الذي ينفعك في النصرة والدفاع عنك وجلب الخير، فسمى العابدين أولياء لأنهم ينصرون هذه الآلهة، ولهذا قال قوم إبراهيم: « قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ » (الأنبياء: ٦٨). فهم ينصرونها ويرجون النصر منها. (تفسير ابن عثيمين).

والعنكبوت تقع على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث، ونونه أصلية والواو والتاء مزيدتان، بدليل قولهم في الجمع عناكيب، وفي التصغير عنيكيب، وهذا مطرد في أسماء الأجناس، ويجمع على عكاب وعكبه وأعكاب وعناكب. وعنكبوتات أيضًا وهي الدويبة الصغيرة التي تنسج نسجًا رقيقًا، وقد يقال لها عنكيات، والغالب في استعماله التأنيث. (فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن القنوجي).

وأما قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (العنكبوت: ٤٢). لما نفى عنهم العلم بما تضمنه التمثيل من حقارة أصنامهم التي يعبدونها وقلة جدواها بقوله: «لو كانوا يعلمون». المفيد أنهم لا يعلمون، أعقبه بإعلامهم بعلمه بدقائق أحوال تلك الأصنام على اختلافها واختلاف معتقدات القبائل التي عبدتها، وأن من آثار علمه بها ضرب ذلك المثل لحال من عبدوها وحالها أيضًا دفعًا بهم إلى أن يتهموا عقولهم وأن عليهم النظر في حقائق الأشياء تعريضًا بقصور علمهم. (التحرير والتنوير لابن عاشور).

و(هو العزيز الحكيم) العزيز في ملكه، الحليم في صنعه.

ثم قال تعالى: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» أي هذا المثل وغيره من الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيهًا لهم وتقريبًا لما بعد من إفهامهم، و«ما يعقلها» أي: ما يفهم صحتها وحسنها وفائدتها، ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله (إلا العالمون) بالله وبأسمائه وصفاته، الراسخون في العلم، المتدبرون المتفكرون لما يُتلى عليهم. (فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن القنوجي).

من فوائد الآيات

الفائدة الأولى:

تقبيح هؤلاء المشركين وتنزيل مرتبتهم؛ حيث شبَّهوا بالعناكب؛ لأن تشبيه الإنسان بالحيوان إذلال له وتنزيل لمرتبته؛ لأن الله تعالى يقول: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (الإسراء: ٧٠).

الفائدة الثانية:

جواز ضرب الأمثال بالدون حسب ما تقتضيه الحال؛ لقوله: (كمثل العنكبوت)؛ فإن العنكبوت من أدنى ما يكون من المخلوقات، وقد قال تعالى في سورة البقرة: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا » (البقرة: ٢٦)، وقد ضرب الله مثلاً بالذباب والحمار وبالكلب وبالبعوضة وبالعنكبوت، كل هذا حسب ما يقتضيه المقام.

الفائدة الثالثة:

فضيلة العلم لقوله: (وما يعقلها إلا العالمون)؛ فغير العالم بالله عز وجل لا يعقل هذه المعاني، لكن العالم هو الذي يعقلها ويعرف مغزاها ومعناها وأوجه الشبه بينها حتى يصل إلى درجة الكمال. (تفسير ابن عثيمين، بتصرف).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مقالات في معاني القراءات

الحلقة الثامنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في سور الجزء الرابع والعشرين من كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد د. أسامة صابر

من سورة الزمر

قوله تعالى: (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ) (الزمر:٨).

القراءات: (ليضل) فتح الياء المكي والبصرى ورويس، وضمها غيرهم.

المعنى: على قراءة فتح الياء (ليَضل) أي ليَضل هو في نفسه، كما قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ) (النجم:٣٠)، وعلى القراءة بضم الياء (ليُضل) أي ليُضل غيره من الناس، فلم يكتف بضلال نفسه بل أغوى غيره (الدر المصون للسمين الحلبي ٩/ ٤١٤).

قوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا) (الزمر:٩).

القراءات: (أمن) خفف الميم نافع وابن كثير وحمزة، وشددها الباقون.

المعنى: على قراءة التشديد (أمَّن) والأصل أم من، وأدغمت في الميم، وأم بمعنى بل، ومن بمعنى الذي، والمعنى العاصون المتقدم ذكرهم في قوله تعالى (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ) (الزمر:٨)، هؤلاء خير أم الذي هو قانت؟

وعلى قراءة التخفيف (أمَن) لها وجهان: أحدهما أن تكون الألف للاستفهام، والمعنى: أمَن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا كغيره؟ والثاني أن تكون الألف للنداء، والعرب تنادى بالألف كما تنادى بياء فتقول: يا زيد أقبل، و(أزيد أقبل)، والمعنى: يا من هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا أبشر؛ فإنك من أهل الجنة، وإن كان البعض قد ضعَّف هذا التوجيه كأبي على الفارسي وأبي حيان (حجة القراءات لابن زنجلة ٣١٧، تفسير الطبري، وتفسير البحر المحيط-سورة الزمر: ٩).

قوله تعالى: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (الزمر: ٢٩).

معنى الآية: ضرب الله مثلاً للمشرك الذي يعبد آلهة شتى، ويطيع جماعة من الشياطين فمثله كمثل رجل

يملكه جماعة متشاكسون متنازعون وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد أخلص عبادته لله لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية (تفسير الطبري - سورة الزمر: ٢٩).

القراءات: (سلما) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بألف بعد السين مع كسر اللام (سالما) اسم فاعل أي خالصًا من الشركة، والباقون بحذف الألف وفتح اللام (سَلَما) مصدر، ومعناه لا يُتنازَعُ فيه وهما قراءتان متقاربتا المعنى (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ٣٤٠).

قوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) (الزمر:٣٦).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو جعفر (عبادَه) على الجمع، والمراد بهم الأنبياء عليهم السلام، فكما كفى إبراهيم النار، ونوحًا الغرق، وهمت كل أمة برسولهم فكفى الله الأنبياء وهو كافيك يا محمد صلى الله عليه وسلم، وناصرك كما كفى الرسل قبلك، ويدخل في الكفاية أيضًا المطيعون من المؤمنين، وقرأ الباقون (عَبْده) على الإفراد والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم، ودل على ذلك قوله بعده (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)، وفي إضافته إليه تشريف عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم (حجة القراءات لابن زنجلة ص ٣١٨).

قوله تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (الزمر:٣٨).

القراءات: قرأ أبو عمرو ويعقوب بتنوين (كاشفات) ونصب راء (ضره)، وتنوين (ممسكات) ونصب تاء (رحمته)، والباقون بترك التنوين فيهما وجر الراء والتاء.

المعنى: على قراءة التنوين أنه اسم فاعل يعمل عمل فعله فينصب (ضره) و(رحمته)، ويدل على الحال والاستقبال، وعلى قراءة ترك التنوين يُجر (ضره) و(رحمته) على الإضافة اللفظية، ويراد ما ثبت ومضى وقيل القراءتان متقاربتا المعنى، وترك التنوين للتخفيف (الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٢٠١).

قوله تعالى: (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (الزمر:٦١).

القراءات: قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف بألف بعد الزاي على الجمع (بمفازاتهم)، والباقون بحذفها على الإفراد.

المعنى: على قراءة الجمع لاختلاف أنواع ما ينجو منه المؤمن بفضل الله ورحمته يوم القيامة من شدائد وأهوال، وعلى قراءة الإفراد مصدر يدل على الفوز وإن تعددت أسبابه وطرقه (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٣٤٢).

ومن سورة غافر

قوله تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (غافر:٢٦).

القراءات: قرأ الكوفيون ويعقوب (أو أن) والباقون (وأن) ومعنى أو وقوع أحد الشيئين؛ فكأن فرعون خاف أن يبطل موسى دينهم البتة، فإن لم يبطله أوقع فيه الفساد فجعل طاعة الله هي الفساد، ومن قرأ (وأن) فيكون المعنى أنه خاف الأمرين جميعًا.

قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب وحفص (يُظهِر في الأرض الفسادَ) فأسند الفعل إلى موسى، وقرأ الباقون (يَظهَر في الأرض الفسادُ) أي أنه إذا بدل الدين يظهر في الأرض الفساد مكانه ويكون فساد الدين والدنيا (البدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي ٢/٧٨٦، حجة

القراءات لابن زنجلة ص ٣٢٣).

قوله تعالى: (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) (غافر:٣٥).

القراءات: قرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين الباء في (قلب) وغيرهما بترك التنوين.

المعنى: على قراءة التنوين (قلبٍ متكبرٍ) جعل التكبر والجبروت صفة للقلب؛ لأنهما ناشئان منه، إذ هو مركزهما ومنبعهما، وعلى ترك التنوين أضاف التكبر إلى صاحب القلب؛ لأنه الفاعل فالقلب جارحة من جوارحه (لطائف الإشارات للقسطلاني ٧/٣٨٢).

قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) (غافر:٣٧).

القراءات: (وصُد) ضم الصاد الكوفيون ويعقوب، وفتحها غيرهم.

المعنى: على قراءة (صَدَّ) أن فرعون هو الصاد عن سبيل الله، فقد أضل قومه وتوعد من آمن بالعذاب، كما قال تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) (محمد:١)، وعلى قراءة (صُدَّ) فالصاد له هم طغاة قومه والشيطان، كما بين ذلك قوله تعالى (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) (النمل:٢٤) (الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/٥٧٢).

قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (غافر:٤٦).

القراءات: (أدخلوا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة بهمزة وصل مع ضم الخاء، وغيرهم بهمزة قطع مفتوحة مع كسر الخاء.

المعنى: على قراءة (ادخُلوا آل فرعون): أي ويوم تقوم الساعة يقول خزنة جهنم ادخُلوا يا آل فرعون معه العذاب الأشد.

وعلى قراءة (أدخِلوا آل فرعون): أي يقول الله: يا خزنة جهنم أدخلوا آل فرعون أشد العذاب (شرح الجعبري على متن الشاطبية ص ٢٢٥٣).

ومن سورة فصلت:

قوله تعالى: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ) (فصلت: ١٠).

القراءات: (سواء) قرأ أبو جعفر برفع الهمزة مع التنوين (سواءٌ) خبر مبتدأ مضمرًا: هي سواءٌ لا تزيد ولا تنقص.

وقرأ يعقوب بخفضها مع التنوين (سواءٍ) على أنها صفة لـ(أيام)، أي في أربعة أيام مستويات تامات.

والباقون بنصبها منونة على المصدر، أي استوت سواءً أي استواءً (معاني القراءات للأزهري ص ٤٥١).

وللحديث صلة، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ: عبد الرزاق السيد عيد، وذلك يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى ١٤٤٢هـ- الموافق ١٦ ديسمبر ٢٠٢٠م.

كان الشيخ رحمه الله أحد مشايخ جمعية أنصار السنة، وأحد كُتاب مجلة التوحيد.

وتتقدم أسرة تحرير مجلة التوحيد بخالص العزاء لأسرة الشيخ وتلاميذه ومحبيه، ونسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يرفع في الجنة درجاته.

ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

أسرة التحرير

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧-٢٣٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلًا من ١١٧٠

هدايا قيمة

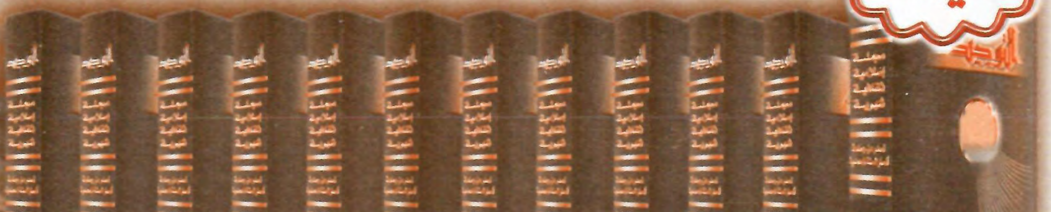

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.mgtawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني